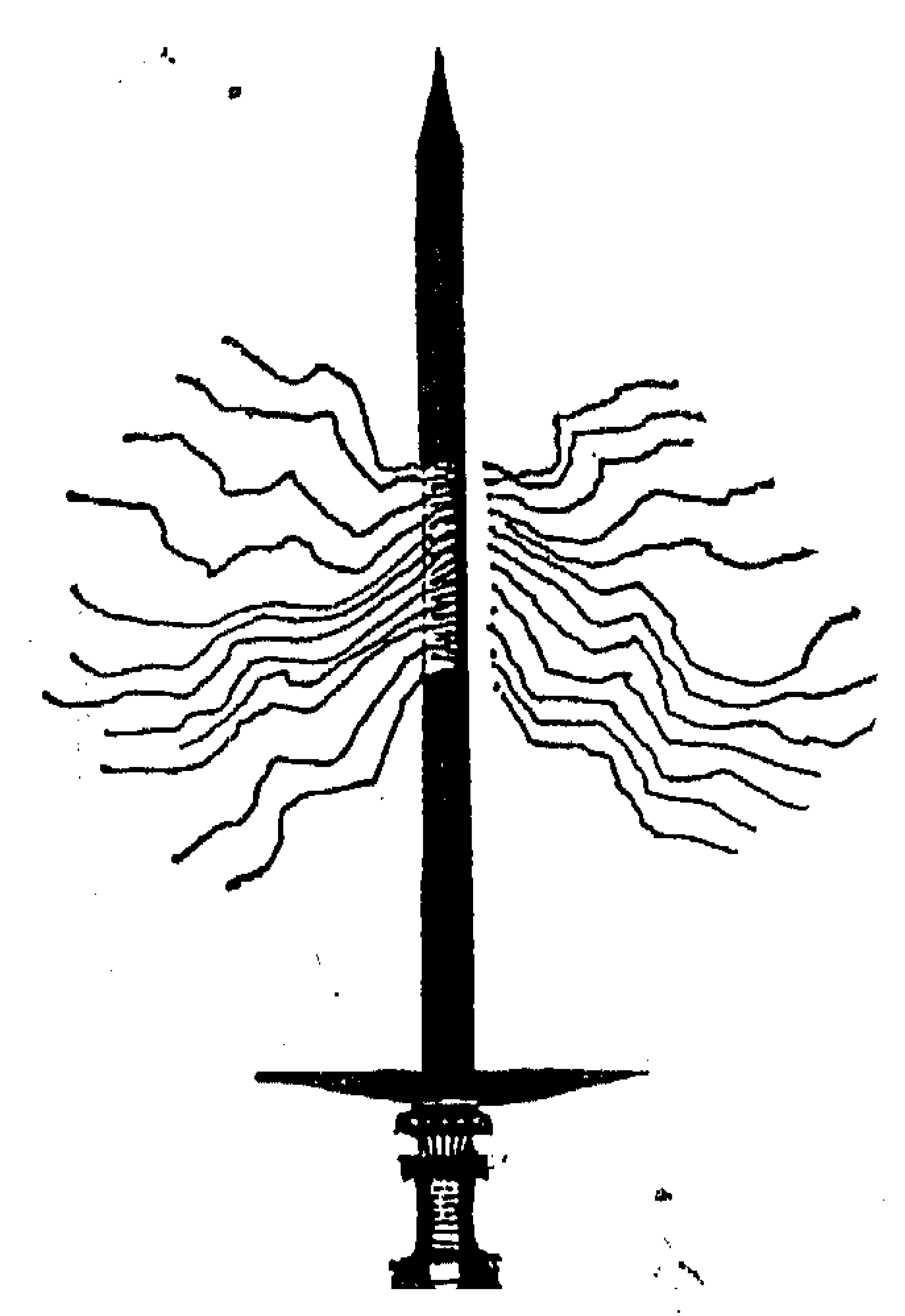

Bibliotheca Alexandrina
0172158



حكايات الأطفال

نشر بالاشتراك مـــع
مؤسسة فرنكلين للطبـــاعة والنشر
بـــيروت ــ نيويورك
١٩٦٣

حكايات الأبطال



جمع : أليس هيزلتين

ترجمة : سميرة عزّام

الرسوم بريشة جوردون ليث وعمر الانسي

المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر
ص.ب ٣٥١٥ - بيروت - لبنان

مصرع هكتور

إعداد ألفرد ج. تشرش

حاصر اليونانيون طروادة مدة تزيد على عشر سنوات . ان قصة هذا الحصار الطويل مكتوبة في الالياذة التي قيل بان شاعرا اعمى يدعى هوميروس قد قام بتأليفها . ولم يكن لليونانيين من القوة ما يسمح لهم بطرد اليونان فجرت بين الطرفين معارك عديدة قتل فيها عدد كبير من رجال الفريقين . كما ظهر في هذه المعارك عدد من الابطال وكان اشرف ابطال طروادة على الاطلاق بطل هو ابن الملك بريام واخو البطل باريس . اما اشد محاربي اليونان قوة فكان اخيل الذي كان محروسا من الآلهة والذي لم يكن ممكنا قتله الا اذا اصيب في موضع معين في كعبه. ان قصة المعركة التي جرت بين هكتور واخيل والتي انتهت بموت هكتور لا تكشف لنا عن شجاعة الاثنين فحسب بل عن اساليب تدخل الالهة في المعارك . « فابولو » اله الشمس و « زيوس » ملك الالهة كانا يحبان طروادة ولكن « اثينا » ربة الحكمة والحرب و « جونو » زوجة « زيوس » وغيرهما من الارباب والربات كانوا يحبون اليونان .

مصرع هكـتور

اطل الملك بريام من فوق اسوار طروادة ورأى اخيل وهو يسوق رجالها امامه وكأنهم النعاج فشعر بالقلق واخذ يفكر في طريقة يستطيع بها ان يساعد شعبه ، وبعد تفكير قليل توجه الى الحراس قائلا :

« افتحوا الطاقات التي في الابواب ليتمكن الناس من اللجوء الينا في هربهم من وجه اخيل » •

وهكذا فتح الحراس الطاقات وتدفق الناس الى المدينـة وقد انهكهم التعب والعطش اذ كان اخيل يطاردهم عن قرب • وكان ممكنا لليونان ان يستولوا على طروادة لولا حماية الاله ابولو لهـا • اذ كان بوسعهم ان يتسللوا اليها مع الطرواديين طالما كانت الابواب مفتوحة ، فاذا ما اغلقت هلك من كان مـن الطرواديين خارج الاسوار على يد اليونان • ولكن ابولو خلصها بهذه الطريقة • لقـد وضع شجـاعة في قلب اغينور ابـن انطينور ووقف الى جانبه ليحميه من الاذى فوقف هذا يفكـر

ويقول في نفسه : « هل اهرب انا ايضا كالباقين ؟ كلا لن افعل ذلك •• لانني لو اطلقت ساقي للهرب فسيتمكن اخيل من اللحاق بي — فهو سريع العدو — وقتلي كما يقتل الجبان• فماذا افعل؟ هل اهرب عبر السهول الى جبل ايدا فاختبىء هناك واذا ما جن الليل عدت الى المدينة ؟ لا لن افعل ذلك ايضا ، لانه لو رآني فسيطاردني حتى يقبض علي • فهل اقف هنا امام البوابات واستعد لملاقاته فقد اقتله بحربتي لانه ليس الا انسانا فانيا مثلي ؟ »

وقد فضل اغينور ان يقف امام البوابة في انتظار اخيل لان ابولو قد القى في قلبه الشجاعة ، وعندما اقترب اخيل منه صوب حربته اليه فاصابه في قدمه تحت الركبة • غير ان الدرع التي كان اخيل يلف بها ساقيه قد ردت الحربة رغم انها كانت قوية جدا لانها من صنع الاله ابولو • وحين كر اخيل على اغينور ليقتله رفعه ابولو عن الارض ووضعه بامان داخل الاسوار ، وليتمكن الطرواديين من ان يجدوا وقتا كافيا للدخول الى داخل الاسوار اتخذ الاله ابولو هيئة اغينور وشكله وهرب امام اخيل فلحق به هذا وطارده فدخل الطرواديون الى مدينتهم من خلال الطاقات المفتوحة دون ان يتمهلوا ليستفهموا عمن قتل منهم وعمن بقي حيا • لقد كان خوفهم عظيما وكذلك كانت

سرعتهم في الهرب ، ولم يبق من احد خارج الاسوار الا هكتور ابن الملك بريام الذي ظل واقفا امام بوابة من البوابات العظيمة تعرف ببوابة سكايان ، في تلك الاثناء كان اخيل يطارد طرادا عنيفا الاله ابولو المتنكر في صورة اغينور ، واخيرا استدار اغينور نحوه وقال : « لماذا تطاردني ايها العداء اخيل ؟ ألم تكتشف بعد انني اله ، ان غضبك هذا سيضيع عبثا • فها انت هنا ، بعيدا عن الطريق ، تحاول ان تقتل من لا يقتل » •

ورد عليه اخيل بغضب عظيم : « لقد اسأت الي كثيرا بهذا العمل ، ولا شك انك الوحيد بين الآلهة الذي يحب الخداع ، فلولا عملك هذا لكنت قتلت الكثير من الطرواديين ، ولكنك انقذت الناس الذين تحبهم وحرمتني من مجد عظيم ، ولكنني سأعرف كيف انتقم وستدفع لخداعك الثمن الكبير » •

واستدار اخيل وركض نحو المدينة خفيفا كحصان سباق يجر عربة عبر السهول ، وقد التمعت اسلحته في ضوء الشمس• فلما رآه الملك بريام جأر عاليا ورفع يده مناديا ابنه هكتور حيث وقف الى جانب الباب منتظرا ان يحارب خصمه ، وقال له :

« يا بني لا تقف امام هذا الرجل اخيل والا قتلك • لانه حقا اكثر قوة منك • اتمنى لو ان الالهة تحمل له من الكره مثلما

احمل له في قلبي • الا فليذهب جسمه طعاما للكلاب والنسور ، لانه حرمني من ابناء كثيرين • فاذا ما حرمني منك يا هكتور فلن نحزن انا وامك فقط بل سيحزن معنا كل رجل وامرأة في طروادة• ادخل يا بني ولا تعرض نفسك للخطر ، لانك امل هذه المدينة ورجاؤها • تعال ولا تدع السوء يقع على رأسي في شيخوختي فأرى ابنائي يذبحون امام عيني وارى بناتي وقد ساقهن العدو الى الاسر ، واطفالي وقد تفرقوا هنا وهناك •

هكذا تكلم الملك بريام ، الا ان قلب هكتور لم يتحرك ، كما ارتفع من الجهة الاخرى من السور صوت الملكة هيكوبا زوجة بريام الملك وام هكتور وهي تبكي بصوت مسموع وتنادي عليه عل قلبه يرق لها : « اتوسل اليك ان تدخل يا هكتور والا تنتظر حتى يقترب منك اخيل لتشترك معه في معركة ، لانه اذا ما غلبك لن يكتفي بقتلك فحسب بل انه سيلقي بجثتك لتغدو طعاما للكلاب والنسور » •

ولكن رجاءها ذهب عبثا لان هكتور كان مصمما على ملاقاة اخيل والدخول معه في معركة • وحين كان ما يزال منتظرا ان يقترب اخيل منه تواردت عليه خواطر كثيرة فقال في نفسه :

« ملعونا اكون لو انا دخلت الاسوار لانني ساكون هدفا لغضب هؤلاء الذين نصحوني نصيحة ما سمعتها اذ قالوا انه

يجدر بي ان ادع الناس يدخلـون الاسوار في الوقت الذي يتصدى لنا فيه اخيل العظيم ليحاربنا • ولو انني فعلت ذلك لكان هذا افضل لنا • اما وانا لم اسمح بذلك وتسببت في هلاك كثيرين ممن ظلوا خارج الاسوار ، فانني لاخشى بنات طروادة وبنيها اذ يقولون ان هكتور كان مخدوعا بقوته ، وقد تسبب في هلاك الناس الذين كان يجب عليه ان يحافظ عليهم وينجيهم من موت محقق • انه لافضل بالنسبة لي ان اثبت هنا والاقي اخيل العظيم واقتله او ـ اذا كان هذا امرا لا بد منه ـ اقتل على يديه ، ام ترى انه من الاجدر بي ان انزع خوذتي واركن رمحي واذهب لملاقاته قائلا : « سنسلمك هيلين الشقراء وكل الكنوز التي حملها باريس معهـا ، كذلك سنقدم كل الاشياء الثمينة الموجودة في المدينة والتي قد يرغب اليونان في اقتسامها فيما بينهم بعد ان نقسم لهم بآلهتنا باننا لن نحتفظ بشيء شرط انيتركونا بسلام؟» ولكن ما اسخفهذا الحديث! فهو سيقتلني دونما شفقة او رحمة حينما اقف امامه مستسلما هكذا • كلا انه لافضل لي كثيرا ان الاقيه بالسلاح ، وارى لمن سيمنح زيوس نصره ، له ام لي » •

هذه هي الخواطر التي طافت برأس هكتور ، وكان اخيـل في تلك الاثناء يقترب ورمحه يهتز فوق كتفه ، وكانت اسلحته

تلتمع وكأنها شمس تشرق او نار تتألق • وما ان اقترب من هكتور حتى خانت هذا شجاعته فادار ظهره واطلق ساقيه للريح هاربا من الموضع الذي كان يقف فيه قريبا من البوابة ، الا ان اخيل لحق به كالصقر الذي هو اسرع من سائر الطيور ، وقد راح يطارد حمامة بين التلال • وعبر الرجلان في ركضهما برج المراقبة ، وشجرة التين الضخمة ، وانطلقا في الطريق الذي تسير عليه العربات حول الاسوار حتى وصلا الى الجداول التي تصب ماءها في النهر • وكان هناك جدولان ، واحد ذو ماء شديد الحرارة وكأنه حمي بالنار ، والاخر شديد البرودة كأنه الثلج حتى في فصل الصيف • وكان هناك اناءان من الحجر اعتادت فتيات طروادة ان تغسل فيهما الثياب ، ولكن ذلك كان في القديم قبل ان يحاصر اليونان طروادة • وعبر الجداول راح الرجلان يركضان كأنهما في سباق • سباق ليس كالسباقات التي يمنح الفائز فيها جائزة قد تكون خروفا او درعا ، ولكنه سباق تكون فيه الجائزة ، اذا ما فاز هكتور ، نجاة نفسه وخلاص حياته • اجل ان المكافأة هي حياة هكتور • وهكذا راحا يركضان حول المدينة والطرواديون من وراء اسوارهم واليونان من مواقعهم يرقبون • وكانت الالهة ايضا من مقرها على قمة جبل الاولمب تتفرج ومعها زوس الذي قال للالهة :

«ان ما اراه ليدعو الى الشفقة، ان قلبي حزين من اجل هكتور الذي طالما اكرمني واكرم الالهة الاخرين بذبائحه وقرابينه • فانظروا كيف يطارده اخيل الان •• والان هلموا نتشاور • هل نخلص حياته من الموت ام ندعه يسقط صريعا تحت حربة اخيـــل ؟ »

وردت الالهة اثينا : « ما هذا الشيء الذي تقترحه ؟ هــل بوسعك ان تخلص انسانا اذا كانت الاقدار تريد له ان يموت ؟ افعل ذلك اذا شئت، ولكن الالهة الاخرى لن توافق على فعلك» •



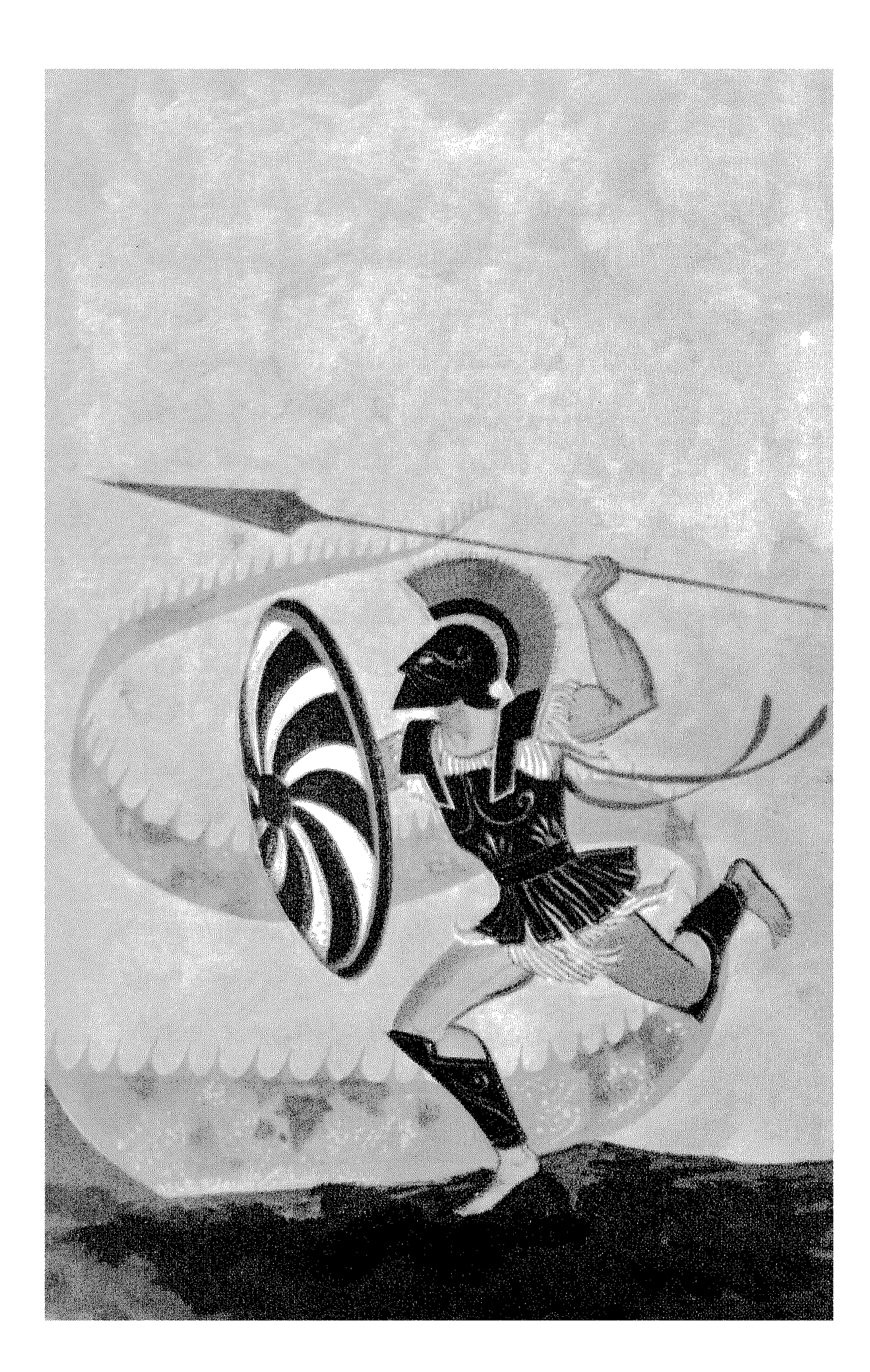
عندها قال زوس « كم اكره ان اتخلى عنه ولكن ليكن الامر حسبما تقولين » • وفي هذه الاثناء كان هكتور ما يزال يركض، واخيل ما زال يطارده تماما كما يكون الامر في الاحلام عندما يكون هناك واحد يركض ، والاخر يبدو كمن يطارده ، فـــلا يستطيع الاول ان يفلت ، ولا يستطيع الثاني ان يلحق به • هكذا كانت المطاردة بين الرجلين • ومع ان ابولو قد تدخل اذ نفخ قوة عجيبة في ركبتي هكتور الا انه لم يتدخل ليقف ضد اخيل الذي لم يكن هناك من يسابقه في العدو والطراد • لقد



طافا بالمدينة ثلاث مرات ، وعندما بلغا الجداول للمرة الرابعة هبطت الالهة اثينا من الجو قريبا من اخيل وقالت : « هــذا هو يوم مجدك لانك ستقتل هكتور بالرغم من انه محارب قدير ، ولكن الموت مقدر له ولن يستطيع ابولو نفسه ان يخلصه • قف قليلا لتلتقط انفاسك وساجعل هكتور يقابلك » • وهكذا وقف هكتور متكئا على حربتــه • اما اثينا فقــد تنكرت في هيئــة ديوفوبوس واقتربت منه قائلة :

« يا اخي هكتور •• ان اخيل قد حشرك ، ولكن لا بأس فسنتصدى له كلانا • ورد عليه هكتور • « يا ديوفوبوس لقد كنت دائما احبك فوق ما احب اخوتي ، وقد احببتك الان اكثر فاكثر لانك هرعتلنجدتي بينما بقي الاخرونداخل الاسوار» • فقال ديوفوبوس « لطالما توسل الي ابي وامي واخوتي ان ابقى داخل الاسوار ولكنني رفضت • لانني لا اتحمل ان ادعــك وحيدا • تعال • دعنا نحارب هذا الرجل معا • ودعنا نرى ما اذا كان اخيل سيحمل جثتينـــا الى مراكب اليونـــان ام انـــه سيموت هنا بين ايدينا » •

هنا قال هكتور لاخيل • لقد لحقت بي وطفنا ثلاث مرات حول اسوار المدينة وانت تطاردني ولم اجرؤ على مواجهتك قط • اما الان فانا لا اخــافك بعد •• ولكن دعنا نعقد هــذا



الاتفاق • اذا سمح الالــه زوس بان اكون المنتصر فساسلم جثتك الى اليونان ، ولن احتفظ الا باسلحتك • فهل تعدني ان تفعل ذلك بجثتي ان انت انتصرت ؟ »

وقطب اخيل وجهه وصــاح : « هكتور ! لا تتحدث عــن الاتفاقات معي، فالاسود والبشر لا يتعاهدون، كذلك ليس هناك من اتفاق بين الذئب والخروف • لا تضع الوقت ، دعنا نتبارز لانتقم منك لدمــاء الذين قتلتهم • وخصوصا باتروخلوس ، الرفيق الذي احببته اكثر مما احببت احدا في حياتي » •

وهنا القى اخيل بحربته فرآها هكتور تتجه نحوه ، وتجنبها اذ انحنى حتى يدعها تمر من فوق رأسه فلا تصيبه بل تتجاوزه وتسقط على الارض ، الا ان اثينا انتزعتها واعطتها الى اخيل في غفلــة مــن هكتــور الذي قــال لاخيــل : « لقــد اخطــأت هدفــك فــانظر الان كيف احســن انــا التصويب بافضــل ممــا تفعــل » • وصوب حربتــه وقــذف بهــا • والحقيقة انه اصاب هدفه غير ان الدرع التي يلبسها اخيل لم تدعها تنفذ الى جسمه ، بل اصطدمت بالدرع ثم وقعت الــى الارض • فصاح هكتور بديوفوبوس : « اعطني حربة اخرى » ولكن ديوفوبوس للاسف كان قد ذهب • هنا ادرك هكتور ان نهايته قد باتت وشيكة فقال لنفسه : « لقد كتب علي ان اموت

فهذه ارادة الالهة • لقد ظننت ان ديوفوبوس يقف الى جانبي• ولكن يبدو انني كنت واهما وان الالهة اثينا قد خدعتني • لا بأس اذا كان مقدرا لي ان اموت فلامت ميتة تجعل النـــاس يتذكرونها سنين طويلة » •

قال ذلك وجرد سيفه من غمده وهجم على اخيل كما ينقض النسر من الاعالي على فريسته ولكن ضربة واحدة من ضربات سيفه لم تصب اخيل الذي كان يتلقى الضربات بدرعه ، وكانت اطراف خوذته تتدلى على ظهره كما كانت حربته تلتمع تحت ضوء نجمــة المساء ، وراح اخيل يفكر في اي موضع من جسم هكتور عليه ان يوجه حربته ، لان دروع باتروخلوس ، التي كان هكتور يلبسها ، كانت تغطي جسمه • ولكن كان هنـــاك موضع واحد في جسمه اذا نفذت اليه الحربة اصابت مقتلا ، وهو الموضع الذي يتصل فيه العنق بالكتف• والى هذا الموضع بالذات وجه اخيل حربته فوقع هكتور ارضا فصاح به اخيل :

« انت لم تفكر في انتقامي يا هكتور حين قتلت باتروخلوس وجردته من اسلحته ودروعه ، وها انت ذا قد سقطت وسيكون لحمك طعاما للكلاب والصقور ، اما جثة باتروخلوس فسيدفنها اليونان بكل تبجيل واحترام » •

ورد عليه هكتور بصوت ضعيف « يا اخيل استحلفك بكل عزيز لديـــك ان تسلم جثتي الى ابي وامي ليتوليا دفنهـــا ، وسيدفعان لك جزية كبيرة من ذهب وفضة وبرونز » • ورد اخيل : « لا تتحدث الي عن الفديه فبريام الملك لن ينال جثتك حتى ولو دفع وزنها ذهبا » •

هنا قال هكتور : « انا اعرفك جيدا يا اخيل ، واعرف اي صنف من الرجال انت ، ولكن انتظر حتى يحـــل عليك غضب الالهة لارتكابك مثل هذه الفعلـــة فيقوم باريس وابولو بقتلك امام هذه البوابات بالذات » •

ولما قال ذلك اسلم الروح امام اخيل الذي كان يقول « مت كالكلب ، اما انا فسألاقي موتي حين تقدر لي الالهة ان اموت »•

بعدها اقدم اخيل على ارتكاب عمل شديد القسوة اذ اوثق قدمي هكتور الى بعضهما ثم شده الى المركبة بسيور مصنوعة من جلد الثيران وجره نحو السفن اليونانية الراسيـــة قريبا •

حصان طروادة

إعداد ألفرد ج. تيرش

لم يطق الطرواديون ان يبقى جثمـان هكتور في معسكر اليونان . وبفضل توسلات الملك بريام الذي ذهب بنفسه الى القادة اليونانيين ، تمكن الطرواديون من الحصول على جثمان هكتور . ولكن ، بعد موت هكتور ، وموت اخيه باريس الذي قتل اخيل ، فقـد الطرواديون شيئا من رغبتهم في القتال . ونجد انهم لم يعاودوا المغامرة بالخروج من مدينتهم للقتال ، بل استقروا داخل اسوار مدينتهم . ولم يتمكن اليونان من التغلب عليهم لحصـانة هذه الاسوار ، ولكن الطرواديين عاشوا داخلها وكأنهم سجناء . ويخبرنا الشاعر الروماني فيرجيل عن التطورات التي حصلت فيما بعد ، وذلك في ملحمته (الانيادة)[*] . ويقال ان ايناس ، بطل هذه القصة ، قد فر من طروادة ، وسلك السبل الى المنطقة التي اصبحت ، فيما بعد ، تعرف بمدينة رومـا .

حصان طروادة

نستطيع ان نتصور كـم كان سرور بريام ملك طروادة وشعبه عظيما عندما سمعوا ان اليونان قد رحلوا عنهم عائدين الى اوطانهم • اذ كـان بريـام الملك قد ارسل قبـل اسبوعين رسولين يحملان رسالة الى معسكر اليونان فوجداه خاليا ، كما انه لم تكن هناك في البحر اية مراكب يونانية •

وهكذا تسارع اهل المدينة ، الكبار منهم والصغار ، الا من كان منهم مريضا او شيخا ، وفتحوا بوابات المدينة التي ظلت مغلقة طوال عشر سنوات في وجـه اليونان اعداء طروادة ، واندفعوا الى السهل المحيط الذي يقع خارج الاسوار ، والذي جرت فيه معارك كثيرة ، وتطلعوا الى الخيام التي كان يعسكر فيها جند اليونان ليتأكدوا ما اذا كانت خالية حقا كما قـال الرسولان ، فوجدوها خالية ، كما لم يجدوا المراكب ، فتأكدوا من كلامهما • وهكذا راح كل منهم يتحدث عن المعارك السابقة التي اشترك فيها ، وعن الامور التي فعلها ، او الاشياء التي رآهـا •

لقد كان هنـــاك الكثير من الاشياء التي رأوهـا خارج الاسوار ، وأهمها ذلك الحصان الخشبي الضخم الذي كـان واقفا غير بعيد عن الاسوار، والذي لم يكن احد متأكدا مما يمكن ان يكون ، ولا من الذي صنعه •

وقال احد الرجال: « غريب جدا هذا الحصان، تعالوا نجره ونجعل منه نصبا نضعه في ساحة طروادة ، ليكون رمزا لمـا لاقيناه طوال عشر سنوات من اهوال » •

وقال اخرون : « لا بل من الافضل ان نحرقه او نجره الى المدينة او الى البحر ليغرق ، او دعونا نكسره لنرى ماذا يمكن ان يكون في داخله » •

ولم يكن واحد من هؤلاء حكيما مثلما كان لاكون Laocoon كاهن هيكل الاله نبتون الذي قال لهم : « لا تتسرعوا فيمـا تعملون فمن يدرينا ان اليونان قد رحلوا فعلا ، وانهم لم يخفوا رجالا مسلحين في داخل الحصان ، ولعلهم ما صنعوه هكـذا كبيرا الا ليعلوا به اسوار المدينة • على كل حال انني اخاف هؤلاء اليونانيين ، واخشى ان اقبل منهم مثل هذه الهدية التي تركوها لنا » •

وبينما كان الجدال قائما اقبل بعض الرعاة مصطحبين معهم

رجلا قيدت يداه خلف ظهره قالوا انهم وجدوه مختبئا في مكان ما في الحقل ، فتجمع حوله الطرواديون وبدأوا يسخرون منه ، الا انه كان يصيح بصوت حزين « ماذا افعل ؟ الى اين اذهب ؟ ان اليونان لن يدعوني اعيش والطرواديون يصيحون طالبين الانتقام مني » •

وبدأ الناس يشعرون بالعطف عليه وطلبوا اليه ان يقول من يكون ، وماذا يعرف من اخبار اليونان •

فالتفت الرجل الى الملك بريام وقال : « سأقول الصدق مهما كلفني الامر ، ان اسمي سينون ، ولا انكر اني رجل يوناني ، لعلكم سمعتم باحـــد سكان بالاميدس الذي قتلـــه اليونانيون واتهموه بالخيانة ، لا لسبب الا لانه يريد السلام للجميع • اجل لقد قتلوه ، وبعد ان فعلوا ذلك ندموا • ان ذلك الرجل هو ابن عم لي ، لقد ارسلني والدي معه الى طروادة لاكون رفيقا له ، ولما قتلوه بعد شهادة كاذبة من يوليس اصابني حزن وغم كثير• ولم استطع ان ابقى صامتا فاقسمت ان انتقم له ممن قتلوه عندما اعــود الى ارجوس ، وهكذا ظـــل يوليس يراقبـــني ويترصدني ليوقع بي الاذى ، واخيرا وبمساعدة من كالاشاس النبي •• ولكن لماذا اقول لكم مثل هذا الكلام ؟ لا شك انكم لا تفرقون بين يوناني واخر ، فكلنا اعداء بالنسبة لكم • اقتلوني

اذا شئتم • اقتلوني وتأكدوا ان لا شيء مثل قتلي يفـرح يوليس نفسه ، فهو مستعد لان يدفع نقودا لمن يقوم بقتلي » •

ولكن الطروادبين قالوا له : « استمر • تابع كلامك » •

وعاد الرجل الاسير الى الكلام فقال: «لقد حاول اليونانيون اكثر من مرة ان يعودوا الى اوطانهم لانهم سئموا الحـرب والقتال ، ولكن البحر كان هائجا عاصفا باستمرار فلم يجرؤا على السفر فيه ، ثم ابتنوا هذا الحصان الخشبي الكبير الذي ترونه ، ترضية للالهة ولكن العاصفـة اشتدت اكثر فاكثر • بعدها ارسلوا الى الاله ابولو من يصلي له ويسأل ماذا يفعل اليونانيون فرد عليهم ابولو قائلا : « يا رجال اليونان • عندما جئتم الى هذا المكان فانكم قدمتم الى الريح ضحية من دم ، ولا بد من ان تقدموا لها ضحية اخرى حتى تهدأ » • ولما سمـع اليونان كلام الاله ابولو ارتجفوا خوفا لان كلا منهم قد خاف ان يكون هو الضحية المطلوبة ، ولكن يوليس سرعان ما قال دعونا نسأل النبي عمن يجب ان تكون الضحية ، فشعرت ان يوليس يحاول ان يرتب الامر مع النبي بحيث اكون انا الضحيـة ، ولكن النبي ظل طوال تسعة ايام صامتا لا يتكلم وهو يقـول : « يعز علي ان اقدم يونانيا للموت » • هكذا كان عذره ولكن الحقيقة انه ويوليس كانا قد تآمرا واتفقا على ان اكون انـا

الضحية • وفي اليوم العاشر تكلم النبي وقال : « سينون هو الرجل » • ولقد وافق الجميع على ذلك ، ولعل كلا منهم قد قال في نفسه « حسنا ماذا يهمني طالما انني لن اكون الضحية ؟ » وهكذا حددوا اليوم الذي يجب ان اذبح فيه ليقدم دمي ضحية لاسترضاء الريح ، وجهزوا كل شيء لذلك • غير انني هربت قبل الموعد المحدد بعد ان حطمت قيدي واختبأت بين اعواد القصب النابت حول البحيرة الى ان حان الموعد الذي كانوا سيسافرون فيه في مراكبهم • وها انذا الان اسير بين ايديكم ، ولن ارى بلدي بعد ابدا ولا زوجتي ولا اولادي • ولا شك ان هؤلاء الرجال اليونانيين القساة سينتقمون من عائلتي شر انتقام لأنني هربت منهم • والان ارجو ايها الملك ان تنزل علي رحمتك لانني ، لم اسبب اذى لاي انسان » •

فاشفق عليه الملك بريام وطلب الى رجاله ان يفكوا قيوده وقال له : « انس هؤلاء اليونانيين فانت منذ اليوم ستغدو واحدا منا • والان اخبرني ما الذي دفع اليونان الى بناء هذا الحصان الخشبي الذي نراه ؟ »

هنا رفع سينون يديه الى السماء وقال :

« اينتها الشمس ، وايها القمر والنجوم ، انني اشهدك على

انني مضطر الى ان اكشف اسرار بني قومي ، الا فاعلم ايها الملك بريام ان اليونان عندما جاءوا الى هذه البلاد لاول مرة كانوا يأملون ان يتلقوا مساعدة من ربة الحكمة (منيرفا) ، غير انها لم تعطف عليهم بل غضبت لان غرضهم كان محاربتكم • ولقد استطاع يوليس وديومد ان يتسللا الى مدينتكم وان يتسلقا القلعة ويقتلا حراسها ، ثم ، وبيدين غارقتين بالدم ، سرقا تمثال منيرفا من المعبد ، لانه كان معروفا انه طالما كان تمثال منيرفا موجودا في هيكل طروادة فان المدينة لن تسقط ابدا بيد اليونان ، فاثار هذا العمل غضب الالهة منيرفا اذ انهما امسكا بتمثالها بايد ملوثة بالدم ، ولقد رأيت بعيني كيف ان عيني التمثال كانتا مشتعلتين بالغضب ، وكيف كان العرق يتساقط من جبهة التمثال : وكيف قفز ثلاث مرات عن الارض وهو يهز درعا وحربة •

ثم قال النبي يجب ان تعودوا الى اليونان ، ثم ترجعوا الى هنا ثانية ، وتبدأوا الحرب من جديد اذا كنتم تريدون الاستيلاء على طروادة • وهذا ما فعله اليونان فقد عادوا الى بلادهم وسوف يرجعون عما قريب ، وقد قال لهم النبي ايضا : « اصنعوا لكم حصانا خشبيا كبيرا لترضى عنكم منيرفا • حصانا لا يمكن ان يحمله الطرواديون الى داخل مدينتهم ، ولو

هم فعلوا ذلك واستطاعوا ادخاله من بوابات المدينة فانكم لـن تستطيعوا ان تغلبوا طروادة ابـدا ابـدا ، بل ان الطرواديين انفسهم سيعتدون علينا ويحاصرون مدننا ، ويقتلون نساءنا واطفالنا . اما اذا حطم اهل طروادة الحصان فان لعنة الالهة منيرفا ستنزل بهم وسيفنون عن آخرهم » .

هذا ما قاله سينون ، ولقد صدقه اهل طروادة ومليكها ، ولكن لاكون الكاهن لم يصدق ذلك ، والقى بحربة يحملها الى الحصان ، وفي اللحظة نفسها ظهر في البحر ثعبانان اسودان تقدما من المدينة ، وكانت عيونهما حمراء كالدم ، متألقة كالنار ، وقد سمع لهما فحيح مخيف . فاصفر الطرواديون هلعا ورعبا وتراكضوا هاربين ، غير ان الثعبانين لم يلتفتا يمينا او يسارا بل توجها الى الهيكل حيث وقف لاكون مع ولديه فالتف ثعبان حول احد الولدين والتف الاخر حول الولد الثاني ، فحمل الوالد سيفه وحاول ان يضرب الثعبانين الا ان الثعبانين التفا حوله ايضا فحاول ان يتخلص منهما غير انه لم يستطع ، فاخذ يصيح كالثور وهمـا يعتصران جسمه بغية قتله . وبعد ان اكمـل الثعبانان عملهما بقتل الكاهن وولديه وزحفا الى الجبل الذي قام عليه معبد الالهة منيرفا ، تكوما امام قدمي التمثال . فلما رأى الطرواديون ذلك قالوا : « لقد لاقى لاكون الكاهن جزاء اعماله

اذ القى بحربتـــه الى الحصـــان المقدس الذي يخص الالهة •
وها هو قد مات الان ومات معه ولداه » •

وهنا صاح الجميع بصوت واحد انه لا بد من جر الحصان الى داخل القلعة بعد ان يهدم جزء من السور حتى يمكن ان يمر الحصان الذي كان ارتفاعه اعلى من ارتفاع الاسوار ، وهكذا ربطوا الحصان بالحبال ، وجروه الى داخل المدينة ، وقد امسك الصبيان والبنات بالحبال وهم يغنون الاغـــاني وينشدون الاناشيد ويتبركون بلمس الحصان •

ولم تلح هناك اية علامة لشر قريب ، لقد توقف الحصان اربع مرات وهم يجرونه ، وفي كل مرة كان يسمع اصطفاق شيء فيه ، كما ان (كاساندرا) نبية مدينة طروادة فتحت فاهـــا وتنبأت بان شرا ينتظر المدينة ، الا ان احدا لم يصدقهـــا ، ولكنها لم تسكت على اية حال ، فمن واجبها ان تقول ما تعتقد به ، سواء صدقها الناس ام لم يصدقوها ، وهكـــذا سحب الطرواديون الحصان إلى داخل المدينة ، وفي الليل اقاموا لـــه الولائم ، ورقصوا وغنوا دون ان يشعروا ان نهاية مدينتهم قد اصبحت وشيكة •

في الحقيقة ان رحيل اليونان عن السهول المحيطة بطروادة

لم يكن الا تظاهرا ، وصحيح انهم سحبوا مراكبهم بعيـدا عن الشواطىء الا انهم لم يبتعدوا بها كثيرا ، بل رسوا بهـا امام جزيرة قريبة ليكونوا على استعداد للرجوع الى شواطىء طروادة في اللحظة التي يتلقون فيها الاشارة ، ولقد جاءتهم الاشارة بعد ان حل الظلام على شكل نور قوي انبعث مـن سفينة الملك اجاممنون الذي كانت سفينته بين السفن اليونانية، وعندما رأى اليونانيون الاشارة اخذوا يجذفون عائدين الى طروادة تحت ضوء القمر ، وكان البحر هادئا فساعدهم ذلك على ان يسرعوا ، وفي الوقت نفسه تقدم سينون وفتح باب الحصان الخشبي الضخم فنزل منه القواد اليونان الذين كانوا مختبئين فيه ، كل ذلك والطرواديون مستسلمون لنوم عميق بعد الجهد الذي بذلوه في الرقص والاكل والشراب . دون ان يشعروا بالخطر النازل بهم .

في تلك الليلة حلم ايناس ، الذي كان امل الطرواديين ، حلما. لقد حلم انه رأى (هكتور) القائد الشجاع الذي قتله اخيل ، لقد رآه على صورة غير الصورة التي عرفها عنه ، حين كـان يعود من المغارك منتصرا حاملا اسلحة اخيل ، او كان يقـوم بحرق مراكب اليونان الذين لم يستطيعوا الوقوف في وجهه ، بل رآه كما بدا في موته ، حين كانت جثته ملوثة بالتراب والدم،

ورجلاه مشدودتين بالسيور الجلدية لان اخيل قد ربط جثته الى المركبة التي راحتتجرها وتدور بها حول الاسوار ثلاث مرات.


فلما رآه ايناس في حلمه نسي كل ما حدث له وسأله : «لماذا تأخرت في الحضور ؟ لقد افتقدناك كثيرا ، وقاسينا الكثير لانك لم تكن معنا لتهب الى نجدتنا . لماذا تبدو بائسا هكذا ؟ من الذي سبب لك كل هذه الجروح ؟ »

ولكن روح هكتور لم تجب على هذه الاسئلة وكل ما قالته هو هذا : « اهرب يا ايناس اهرب ، وخلص نفسك من النار ، ان الاعداء هم الان داخل اسوار مدينتنا ، وستنهزم طروادة . هذه مشيئة الالهة . ولو كان انقاذ المدينة ممكنا لقمت انا بذلك ، ولكن الالهة لا تريد ذلك . وانت الان يا ايناس امل طروادة الوحيد ، فاحمل معك ربة المدينة واهرب عبر البحر فسيأتي يوم تقوم فيه ببناء طروادة جديدة .

واستيقظ ايناس من نومه ، وحين اخذ يفكر في الحلم الذي حلمه سمع صوتا عظيما خيل اليه انه سلاح . وهكذا هب من نومه وصعد الى السطح ونظر الى المدينة ، فرأى النار تشتعل في عدة مواقع منها ، وكانت ألسنة اللهب تقترب من بعضها وتتجمع ، وانعكس وهجها على البحر فبدا وكأنه يشتعل ايضا.

هنا عرف ايناس ان ما حدثه به هكتور في الحلم كان صحيحا، وان اليونان قد دخلوا المدينة ، فحمل سلاحه وقال : « لا ان اهرب ساحارب وانتقم من اعداء طروادة ، فاذا ما مت فستكون ميتتي شريفة تليق بالابطال » • وهكذا خرج من بيته ليلتحق بالمعركة ، وفي طريقه صادفه كاهن الاله ابولو الذي كان يقود حفيده بيد ، ويحمل تمثال الاله ابولو باليد الاخرى • فما ان رأى ايناس حتى صاح : « آه يا ايناس لقد زال مجد طروادة ووقعت في ايدي اعدائها اليونان ، لقد خرج اعداؤها المسلحون من بطن الحصان الخشبي ودخل آلاف منهم بوابات الاسوار التي فتحها لهم الخائن سينون الذي هزىء منا بالحكاية التي اختلقها » •

وبينما كـان الكاهن يتحدث الى ايناس تجمع حولهمـا آخرون كان منهم الشاب كوريبوس الذي قدم الى طروادة املا في ان يتزوج من كاساندرا النبية فقال لهم ايناس : « ايها الاخوان اذ شئتم ان تتبعوني حتى الموت فتعالوا • لقد رأيتم ماذا وقع للمدينة ، ان الالهة التي اعتادت ان تحرس طروادة قد هجرتها ، ولكن لا بد من ان نفعل ما علينا ، وان نمـوت شجعانا في المعركة كما يموت الرجال الشجعان ، هذا ومـن المحتمل الا نموت ، فتصدق علينا الحكمة القـائلة : قد تكون





التضحية بالنفس سبيلا الى خلاصها » • وهكذا تبعوه جميعا فانطلقوا يهبطون التل نحو المدينة ثائرين كالذئاب الجائعة •

وكان اول ما لاقوه في طريقهم قائد يوناني يتبعه رجــال كثيرون من اليونان • فنظر اليهم وظن انهم من بني قومــه اليونان فقال لهم : « اسرعوا ايها الاخوان • لماذا تأخرتــم هكذا ؟ لقد كدنا ندمر المدينة وانتم لما تنزلوا من السفينة الا

الان؟ » واذ لم يردوا عليه بجواب تفرس فيهم وادرك انه واقع بين الاعداء ، فحاول ان يهرب ولكن بسبب جهله بطرق المدينة ودروبها لم يتمكن من الهرب ، فقتل مع جماعة كبيرة من جنده اليونان •

وهنا قال كوريبوس : « ان حظنا سعيد ايهـا الاخوان ، دعونا الان نستبدل ثيابنا ودروعنا وسلاحنا بثياب ودروع واسلحة اليونان ، فمن يستطيع ان يلومنا ان نحن خدعنـا اعـداءنـا ؟ »

ثم تقدم واخذ درع القائد وخوذته ورمحه ايضا ، وفعل الاخرون مثله ، وبهذه الطريقة اندس بين اليونان فقتل بعضهم ودفع بعضهم الاخر الى الفرار الى سفنهم ، كمـا لجأ بعضهم الى الحصان الخشبي يختبئون بداخله •

وفي خلال سيرهم بالمدينة قابل كوريبوس جماعة من جند اليونان وهم يجرون النبيه كاساندرا منمعبد منيرفا الذيالتجأت اليه ، وحين رأى كوريبوس ، الذي يريد الزواج منكاساندرا ، كيف كانت ترفع عينيهـا الى السماء متوسلة ، وكيف وضـع الجنود اليونان قيود الحديد في يديها ، اشتد غضبه وهجم على اليونان بقصد تخليص كاساندرا ، فتبعه الطرواديون الذين

كانوا معه .

وهنا وقع امر فظيع حقا ، فقد كان هناك بعض الطرواديين الواقفين علـى اسطحة المنازل والمعابد القريبة ، ولمـا كان كوريبوس وجماعته متخفين بالدروع والاسلحة التي انتزعوها من جند اليونان فان الطرواديين اعتقدوا انهم من جند الاعداء فرموهم بالحراب وقتلوا العديد منهم . كما ان اليونان عادوا يحاربون بضراوة شديدة ، كما عاد الى المعركة هؤلاء الذين كانوا قد هربوا الى المراكب ، وتجمعوا في مكان واحد ، فلـم يستطع الطرواديون ، وقد اصبح عددهم قليلا ، ان يقفوا في وجوههم ، فقتل كوريبوس اولا ، ثم قتـل اغلب الذيـن رافقوه . لقد كان ذلك يوم هلاك ومحنة بالنسبة للطرواديين ، وهكذا لم يبق مع الناس الا اثنين ، واحد كبير السن ، والاخر عاجز عن الحركة بسبب الجرح الذي سببه له يوليس اليوناني.

وحين وقف يفكر ماذا يمكن عمله والحال هذه ، سمع صيحات تنبعث من بعيد وقد بدا له ان هذه الصيحات تنبعث من قصر الملك بريام فقال لرفاقه : « هيا بنا لنرى ما اذا كنا نستطيع ان نقدم يد المعونة لاحد » . ولما بلغ قصر الملك بريام رأى ان المعركة دائرة بشكل اشد مما سبق له ان رأى من معارك في اطراف المدينة ، لقد كان اليونان يحاولون تسلق اسوار القصر ،

فنصبوا السلالم وتسلقوها ، ووقفوا على الدرجة العلوية وقد تشبث الواحد منهم بطرف السور في يد وحمل درعه باليد الاخرى ، اما الطرواديون فكانوا ، اذ عرفوا الا امل لهم في الهرب ، يلقون بحجارتهم الثقيلة على رؤوس الجند اليونان .

وحين وصل ايناس تذكر انه يعرف طريقا سريا الى القصر كانت تدخل منه اندروماك حين تحضر من قصر هكتور الى هذا القصرمصطحبة معها ابنها الصغير ليرى جده الملك بريام . وهكذا استطاع ايناس ان يدخل القصر في غفلة عن اليونان وان يلتحق ببني قومه الطرواديين الذين كانوا يدافعون عن القصر . وكان على سطح القصر برج عال يمكن للمرء اذا اطل منه ان يرى مدينة طروادة بكاملها وان يرى ايضا معسكر اليونان ومراكبهم . وقد قام الطرواديون بضرب اساس هذا البرج بقضبانهم الجديدية وتركوه يهوي على رؤوس اليونان فقتل منهم اعدادا كثيرة ، ولكن هذا زاد في استبسال من بقي حيا منهم ، فاخذوا يضربون الطرواديين المتجمعين على سطح القصر بالحجارة وبالنشابات .

وفي حين كان بعضهم يحاول ان يتسلق السطح كان البعض الاخر يحاول تحطيم بوابات القصر . وكان قائد هؤلاء هو بيروس ابن اخيل الذي ارتدى دروعا لامعة من البرونز ، فبدا

متألقا كثعبان يختفي في جحره طوال فصل الشتاء فاذا حل الربيع خرج منه بجلد جديد براق ليواجه ضوء الشمس رافعا رأسه ومادا لسانه المتشعب • لقد كان بيروس يحمل بكلتا يديه فأسا قوية هجم بها على الابواب يحطمها ويفتح فيها ثغرات يمكن ، اذا نظر المرء منها ، ان يرى القصر من الداخل ، ان يرى قاعة العرش التيكانت للملك بريام، وللملوك الذين سلفوه، وكان بوسع الذين في الداخل ان يروا الرجال المسلحين يتدفقون الى القصر ، فراح هؤلاء يطلقون صيحات عظيمة ، وابتدأت النسوة بالعويل والبكاء والتصقن بالابواب والاعمدة ، ورحن يقلبنها لانهن ظنن انهن لن يرينها بعد ابدا •

لقد كان هناك حراس كثيرون على الابواب غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يصمدوا امام ابن اخيل الذي كان ذا بأس وقوة كما كان والده ، لقد كان مع جماعته اشبه بنهر فاضت مياهه ولم يستطع شيء ان يقف في وجهها فاغرقت السهول •• هكذا كان اليونان وهم يتدافعون نحو القصر •

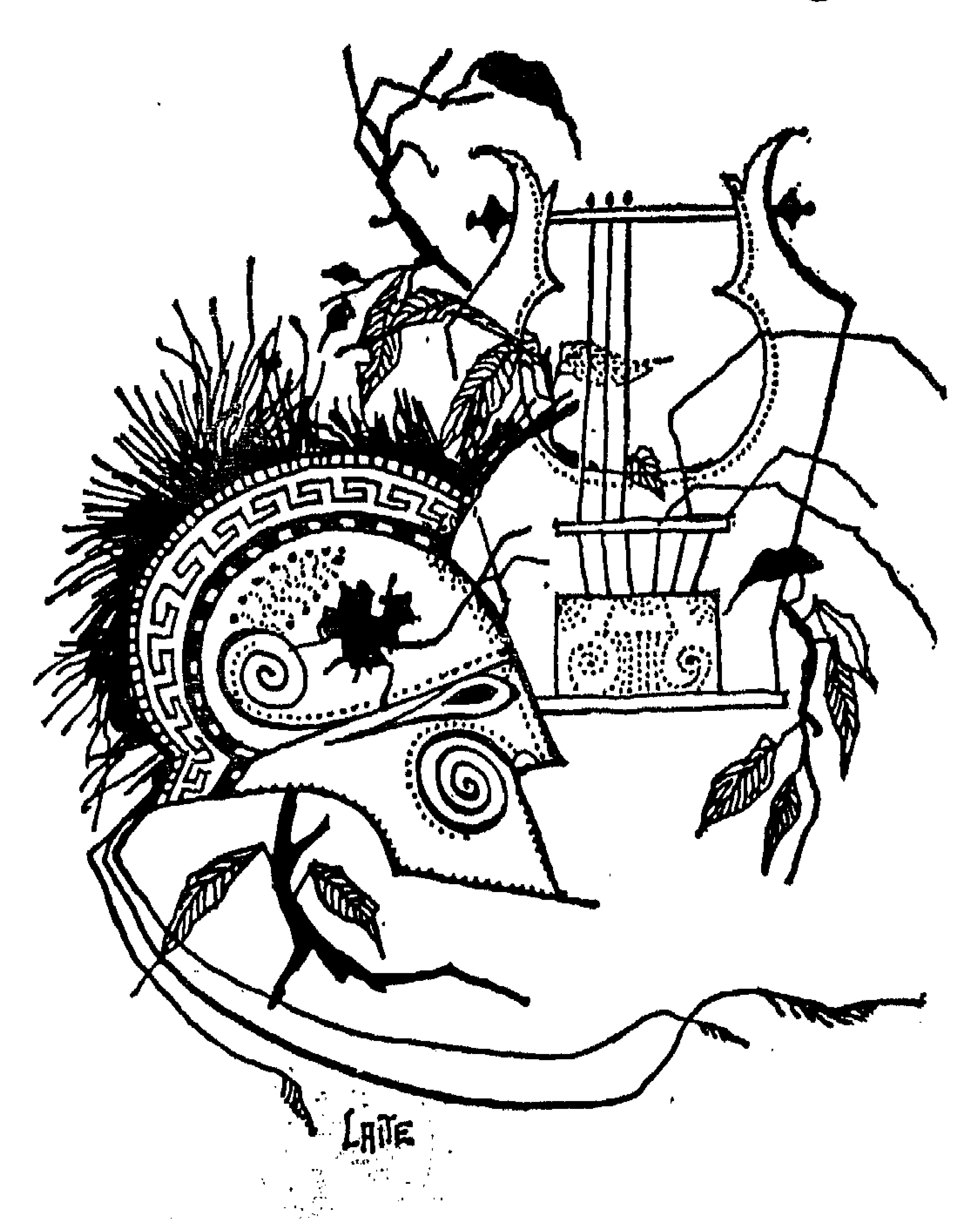
وعندما رأى الملك بريام اعداءه لبس دروعه وحمل اسلحته التي لم يكن قد حملها منذ سنين الا انه اضطر الان لحملها ليدافع عن بيته واهله • لقد رفع في يده حربة اراد ان يهجم بها على اليونان ، غير ان زوجته الملكة هيكوبا نادته الى حيث

كانت تجلس مع ابنتها ونساء اولادها قرب مذبح الالهة التي كان اهل القصر يعبدون • لقد كانت جماعتها اشبه بسرب حمام شردته العاصفة • وكان المذبح ينتصب في قاعة مفتوحة وسط القصر • فما ان رأت الملكة زوجها الملك حتى صاحت فيه قائلة : «ماذا دهاك حتى حملت اسلحتك؟ انالسيوف والرماح لن تشفع لنا ابدا في هذا اليوم العصيب، فأولى بنا ان نلتمس رحمةالالهة، فتعال واجلس معنا قرب المذبح ، فستكون في امان هنا ، او اذا انت مت فانك تموت مع اهلك واولادك » • وهكذا جعلت الملك الشيخ يجلس في الوسط ، ولكن ما ان جلس حتى هرول نحو القاعة واحد من ابنائه يدعى بوليتيس — وكان بيروس ابن اخيل قد جرحه الا انه استطاع ان يهرب ، وما ان بلغ الموضع الذي جلس فيه ابوه وامه حتى خر على الارض ميتا •

ولما رأى الملك بريام ذلك لم يستطع ان يتمالك نفسه فاخذ يصيح قائلا : « فلتعاقبك الالهة على فعلتك الشريرة هذه ، انت يا من قتلت ابنا على مرأى من ابيه وامه • انت تدعي انك ابن اخيل العظيم ، ولكنك تكذب اذ تقول ذلك ، فاخيل لم يعاملني بهذه الصورة • اذ انه عندما ذبح ابني هكتور ومضيت اليه ارجوه ان يسلمني الجثمان لادفنه اعطاني اياه ، واعادني الى مدينتي دون ان يتعرض لي بسوء » •

هكذا قال الملك بريام ، وبعدها امسك بحربته وقذفها نحو بيروس ، غير انه كان واهنا فلم تكن ضربته قوية ولم تستطع ان تخترق الدرع التي يلبسهـا بيروس بل سقطت امامه على الارض ، عندها قال ابن اخيل للملك بريام :

« اذهب وحدث ابي عن الافعال الشريرة التي ارتكبهـا ابنه ولتستطيع ان تتحدث اليه فانك يجب ان تموت » وحين



قال ذلك امسك بشعر الملك الشيخ بيده اليسرى وجره نحـــو المذبح ورفع بيده اليمنى سيفه وغرسه في جسمه ، وهكذا مات الملك بريام القوي الذي حكم في حياته مدنا وشعوبا كثيرة في بلاد آسيا ، والذي لم يمت الا بعد ان رأى العدو يحتل بلاده ويحطم قصره •

حلم رونابواي

إعداد باردياك كوكو

كثيرة هي الاساطير التي نسجت حول شخصية الملك ارثر ، ملك انكلترا الذي يعود في اصله الى مقاطعة ويلز ، والذي كان يمتاز بشجاعة فائقة جعلت منه بطلا من الابطال .

ان قصة حلم رونابواي تطلعنا على بعض الاشياء الخارقة التي وقعت للملك ارثر كما تطلعنا بعض الشيء على قصة موته .

حلـم رونابواي

كان هناك جماعة من الناس سعت في مطلب مـن المطالب وبينها رجل يدعى رونابواي ، فاقبلت الجماعة في سفرها على بيت كانت قد سمعت به ، فما ان اقتربت منه حتى رأى افرادها قاعة مسودة الجدران ذات قبة منتصبة ينبعث منها دخان كثيف، ولدى دخولهم القاعة وجدوا بلاطها متسخا بالوحل والطين فكان وقوفهم عسيرا اذ كانت الارض زلقة بروث الحيوانات ، وثمة اغصان ملقاة على الارض يبدو ان القطيع قد اكل عسالجها . لقد وجدوا عرافة عجوزا مشغولة باشعال النار ، وكلما خمدت النار قليلا وشعرت هذه بالبرد قامت والقت اليها بحزمة مـن القش ترسل ، اذ تشتعل ، دخانا كثيفا يملا الخياشيم فيصعب احتماله . اما في الجهة الاخرى من البيت فكان ثمة جلد حيوان اصفر اللون يفرش الارض .

ولدى دخول الرجال البيت هبت عاصفة منريح ومطر فبات عسيرا عليهم ان يستمروا في سيرهم بامان ، ولشعورهم بالتعب الشديد القوا بأنفسهم طلبا للنوم ، وكانت الحشايا التي استلقوا

عليها عباره عن اكوام من القش التي امتلات بالتراب وعششت
فيها الهوام • وقد جارت القطعان حتى على هذه فاكلت مـا
يؤكل منها وتركتها اغصانا ناتئة • وقد فرش فوقها بساط ممزق
حائل اللون وعليه مفرش خشن مليء بالثقوب ومخدة سيئة
الحشو وغطاء بال مهترىء • وبعد ان عانى رفاق رونابواي من
لذع الهوام وخشونة الفراش الشيء الكثير استسلموا لنـوم
عميق • اما رونابواي فانه لم يستطع ان يصيب قسطا من نوم
او راحة ففكر في انه اذا ما خرج لينام على الجلد المفروش على
الارض خارجا فان عناءه قد يكون اخف ، وهكذا حمل نفسه
وذهب لينام هناك •

وحين وقع عليه النوم خيل اليه انه يسافر ورفاقـه عبر
سهل عظيم من السهول التي يشقها نهر « السيفرن » • وفيما
هو مسافر سمع صوتا عظيما لم يكن قد سمع مثله من قبل ،
واذ التفت الى الخلف ابصر فتى يمتطي صهوة حصان كستنائي
اللون ذي قوائم رمادية • وكان الفارس يرتدي بزة من الاطلس
الاصفر الموشى بالاخضر، وعلى احد جانبيه يتدلى سيف مذهب
ذو قراب جلدي من صنع قرطبة ، وقد تحزم بحزام من جلد
الغزال شده بمشبك ذهبي • وفوق هذا كله كان يضع وشاحا من
الاطلس الاصفر الموشى بالاخضر • وكـان الاخضرار الذي

يجلل الحصان وراكبه متألقا كخضرة اوراق الشربين ، وكانت الصفرة ذهبية كصفرة براعم الوزال • وحين اقترب الفارس من رونابواي وجماعته كانت ملامحه تعكس بأسا شديدا القى الرعب في قلوبهم فاخذوا في الهرب • غير ان الفارس استطاع اللحاق بهم اذ كان يركب حصانا عجيبا يستطيع ، اذا تنفس زفيرا ، ان يدفعهم عنه الى مسافة عظيمة ، واذ تنفس شهيقا جرهم اليه جرا حتى يصبحوا امامه تماما • فلما تغلب الفارس على رونابواي ورفاقه طلب هؤلاء منه الرحمة فطمأنهم وقال لا تخافوا شرا • هنا تشجع رونابواي فقال : « ايها القائد طالما انك منحتنا الامان فاننا نرجوك ان تقول لنا من تكون » ، فقال •• انني ادعى « أدوغ » ولكن الناس يعرفونني بلقب خاص ، قد اطلعكم عليه فيما لو اطلعتموني على اسمائكم •

كل هذا ابصره رونابواي في حلمه ، كما حلم انه ورفاقه قد قطعوا بصحبة الفارس جدولا صغيرا متفرعا عن نهر « السيفرن » الكبير • وعلى جانبي الجدول شاهدوا خياما منصوبة وجيشا كبيرا• وحين بلغوا طرف الجدول رأوا هناك ارثر الملك• وكان الملك يجلس وسط جزيرة صغيرة قائمة في الجدول، وقد وقف امامه فتى ذو شعر يميل الى الحمرة وقد حمل في يده سيفا مغمدا وارتدى معطفا وقبعة من القطيفة السوداء • وكان

الفتى وجه ابيض كالعاج وحاجبان شديدا السواد ، اما ما بان من معصميه بين القفاز وطرف الكم فكان ابيض بلون الزنبق •

لقد رأى رونابواي نفسه في الحلم يقف ازاء الملك ارثر ويأخذ له التحية ، فالتفت الملك اليه والى رفاقه ثم سأل « ادوغ » الفارس : « قل لي ، باركتك السما ، من اين لك هؤلاء الرجال الصغار •• » قال ذلك وهو ينقل بصره بين رونابواي ورفاقه • فرد الفارس قائلا : « عثرت عليهم يا سيدي في الطريق » • عندها ابتسم الملك ، فسأله الفارس : « اذا يضحك سيدي ؟ » فقال ارثر : « انني لا اضحك ولكنه امر يدعو الى الرثاء ان ارى رجالا ضئلين هكذا تلقى اليهم امور الجزيرة البريطانية بعـــد هؤلاء الرجال الذين قاموا على امرها في عهدنا » •

ووقف رونابواي يتأمل الملك ، ولاحظ الفارس انه يتطلع الى خاتم يلبسه فقال له : « اترى ذلك الخاتم ذا الحجر الثمين الذي يلبسه الملك ؟ » قال رونابواي : « بلى انني اراه » ، فقال الفارس : « حسنا ان من عجائب هذا الخاتم انك اذا رأيته فانك لا تنسى ما تشاهده من اشياء ، اما اذا لم تره فانك لن تكون قادرا على تذكر شيء البتة ! »

عندها سمعا ارثر يستدعي احد خدمه • فاقبل فتى اشقر

على حصان اشقر مفروق العرف يحمل معه خرجا جميلا ، فترجل هذا امام ارثر وسحب من الخرج كرسيا ذهبيا وبساطا من الاطلس الموشى فرشه امام الملك ثم وضع الكرسي على البساط، وكانت كبيرة بحيث تتسع لجلوس ثلاثة محاربين •

بعد ذلك شاهد رونابواي ارثر الملك يجلس على الكرسي ورأى فتى يدعى أوين يقف بين يديه ، وسمع الملك يقول لاوين « اتلاعبني الشطرنج ؟ » فاجاب هـذا : « اجل يا سيدي الاعبك » • وهكذا احضر الخادم لوحة الشطرنج المصنوعة من الفضة ، والتي كانت حجارتها من الذهب الخالص •

وبدآ اللعب وفيما كان اللعب جاريا تطلع رونابواي امامه فرأى خيمة بيضـاء في سرادق احمر وقد اعتلى الخيمة البيضاء شيء يشبه افعى حالكة السواد بعينين حمراوين متألقتين تنفثان الحقد والغضب ، وكان لها لسان احمر كشعلة النار • ثم اقبل وصيف يحمل سيفا ذا مقبض ذهبي وغمد من الجلد الاسود الموشى بالذهب ، فتقـدم الى حيث كـان الملك جالسـا يلعب الشطرنج مع اوين ، فادى الفتى التحية لاوين دون ان يؤديها للملك ، فتعجب اوين من ذلك غير ان الملك ادرك ما يجول في خاطره فقال له : « لا تعجب لان الفتى توجه بسلامه اليـك

دوني ، ذلك انه قد سبق وحياني ومهمته الان تختص بـــك وحدك » •

هنا قال الفتى لاوين : « سيدي اصحيح ان ما يجري من مطاردة وصفاء سيدي الملك لغربانك وتعذيبهم الغربان يجري بموافقتك ؟ لانك ان لم تكن موافقا فان سيدي الملك يستطيع ان يأمرهم بالكف عن ذلك » •

هنا التفت اوين للملك وقال : « اسامع انت يا سيدي مـــا يقول الفتى ؟ اذا شئت فمرهـــم ان يبتعـــدوا عن غرباني » • ولكن الملك لم يعلق على هذا الكلام بشيء بل قال : « استمر في لعبك يا اوين » وهكذا تابعا اللعب • وعاد الفتى الى خيمته •

وانتهى دور من لعبة الشطرنج وشرعا في غيره • وفيما هما يلعبان اذ برجل احمر الوجه نحاسي الشعر اجعده ، له عينان كبيرتان وبنية شديدة ولحية حديثة التشذيب يخرج من خيمة صفراء يعلوها تمثال على شكل اسد احمر وفي يده سيف ثقيل ضخم بغمد من جلد الغزال الموشى بالذهب ، اقبل الى حيث كان الملك واوين يلعبان الشطرنج فالقى التحية على اوين وحده فاضطرب هذا لان الفارس اختصه وحده بالسلام ، الا ان الملك لم يهتم للامر مثلما لم يبال في المرة السابقة • وبعد السلام

قال الرجل : « سيدي آليس ان مطاردة افراد حاشية سيدي الملك لغربانك تجري دون موافقة منك ؟ فاذا كان كذلك فلماذا لا ترجو سيدي الملك بان يأمر رجاله بالكف عن ذلك ؟ » فيلتفت اوين للملك قائلا : « اذا شئت يا سيدي فامنع رجالك عن غرباني » • فلا يرد الملك باكثر من متابعة اللعب ، ويرتد الفتى الى الخيمة •

وانتهى الدور وشرعا في غيره ، وفيما هما في ذلك شاهدا على مسافة قريبة منهما خيمة صفراء كانت من اكبر الخيام التي سبقت لهما رؤيتها • وكان يقف على عمودها نسر ذهبي على رأسه حجر كريم • وقد برز من الخيمة فتى كثيف الشعر اشقره القى على كتفيه وشاحا من الاطلس الازرق ، شبكه من احد الكتفين بدبوس ذهبي ، وحمل بيده حربة عظيمة مطلية باللون الاصفر ذات رأس مدبب مشدود الى اعلاها علم صغير•

وبغضب عظيم وخطوات كبيرة تقدم هذا الى حيث كان الملك واوين جالسين فادركا انه كان غاضبا • ثم تقدم هذا وحيا اوين قائلا بان غربانه قد قتلت عن اخرها ، وان ما سلم منها من القتل والذبح قد اصيب بجروح خطيرة منعتها من مجرد فتح الجناحين والتحليق ولو لشبر واحد فوق الارض• وهنا التفت اوين الى الملك قائلا : « امنع يا سيدي رجالك »



فلم يرد عليه الملك باكثر من قوله « تابع اللعب من فضلك » •

عندها التفت اوين الى الشاب وقال له « ارجع وحيث ترى ان حالة الغربان هي اكثر ما تكون بؤسا فهناك ارفع رايتك ، وليكن ما تريد السماء ان يكون » •



وهكذا عاد الفتى الى الموضع الذي اشتدت فيه وطأة رجال الملك على الغربان رفع رايته وحين فعل ذلك انتصبت الغربـــان

على قوائمها ثم حلقت في الهواء وقد تملكها البأس والغضب ، واخذت اجنحتها تصطفق في الهواء نافضة عنها الضعف والوهن مستعيدة بأسها وشجاعتها . وفي لحظة واحدة انقضت جميعا على رؤوس الرجال الذين تسببوا في ايذائها ، وقبضت عليهم فامسكت برؤوس البعض ، وباذان البعض الاخر او اذرعتهم ، وحملتهم عاليا في الجو حيث انبعثت ضوضاء عظيمة بسبب زعيق الغربان واصطفاق اجنحتها وصيحات الرجال الذين أعملت فيهم الغربان مناقيرها قتلا وتجريحا .

وعجب الملك واوين حيث كانا يلعبان الشطرنج لهذه الضجة . واذ تطلعا ابصرا فارسا يمتطي صهوة حصان ملون يقبل نحوهما . وكان رأس الحصان احمر حتى الكتفين ، وكانت قوائمه صفراء، كما كان الفارس والحصان مثقلين بالسلاح الغريب . فعلى جنب الفارس سيف ذو مقبض ذهبي ، وكان الحزام الذي شد اليه السيف مصنوعا من جلد اخضر داكن ذي مشبك من العاج وابزيم اسود، وكانت خوذة الفارس من الذهب المطعم بالحجارة الثمينة ، وعلى رأس الخوذة تمثال صغير لنمر ارقط له لون اللهب وله عينان من الياقوت الاحمر ، وكان منظر النمر يلقي الرعب في قلب اي محارب مهما كان شديد البأس ، وكذلك كان

وجه الفارس صارما وكان يحمل بيده حربة زرقاء غير انهـــا كانت ملوثة بدم الغربان ٠

واقبل الفارس نحو الملك واوين فادركا انه كان متعبـا ومتكدرا ٠ فحيا الفارس الملك وقـــال له بان غربان اوين قد انقضت على رجال حاشيته قتلا وتجريحا فتطلع الملك الى اوين وقال : « امنع غربانك عن رجالي » ٠ فتظاهر اوين بأنه لم يسمع ما قاله الملك اذ قال : « تابع يا سيدي لعبك » ٠ وهكذا استأنفا اللعب فعاد الفارس الى الساحة وكانت الغربان ما تزال تفعل فعلها في رجال الملك ٠

وبعد ان لعبا قليلا سمعا جلبة عظيمة وصوت عويل رجال وزعيق غربان ، اذ كان الغربان يحملون الرجـال الى الجـو ويلقون بهم من حالق فيسقطون ممزقين ٠ واذ الجلبة على اشدها ابصرا فارسا مقبلا نحوهما يمتطي صهوة حصان رمادي كانت قـائمته الاماميـة اليسرى سوداء حتى منتصف الصـدر وكان الفارس والحصان مثقلين باسلحة زرقاء اللون ثقيلة ، وكان معطف الفارس من الاطلس الموشى واطراف الرداء زرقاء ، وكان يتدلى على جنب الفارس سيف ثقيل ، اما قراب السيف فمن الجلد الاحمر وحزامه من جلد غزال احمر اللون ايضا ينعقد على الوسط بابزيم من عظم حصان البحر ، وكانت على رأس

الفارس خوذة ذهبية مرصعة بماس ثمين ويعلو الخوذة تمثال وعينان تنبضان بالبطش • وقد تقدم الفارس حـاملا في يـده حربة من الفضة ما يزال رأسها مخضبا بدم احمر لزج •

وتقدم الفارس من الملك وحياه قائلا : « يا سيدي الا تبالي بما وقع لرجالك ووصفائك من ابناء نبلاء بريطانيا من ذبـح وهوان ؟ الا ترى انه سيكون عسيرا عليك ان تجد من يحامي عن هذه الجزيرة بعد اليوم ؟ »

فالتفت الملك الى اوين وقال : « امنع غربانك عن رجالي »• فلم يرد عليه اوين باكثر من « استمر في لعبك يا سيدي » •

وهكذا انتهيا من الدور • وحالما شرعا في غيره سمعا قعقعة سلاح وزعيق غربان واصطفاق اجنحة الطير وهي تنقض على فرائسها من رجال وخيل، عندها اقبل فارس يركب حصانا عالي الرأس ، كان لون كتفه الايسر من الاحمر الزاهي ، اما ساقه اليمنى ابتداء بالصدر وانتهاء بالحافر ، فكانت بيضاء ناصعة • وكان الفارس والحصان كلاهمـا مجهزين باسلحة مصبوغـة باللون الاصفر • وكان الفارس يرتدي وشاح الشرف ، كما كان يجلل حصانه بوشاح اخر ، وكان لون الوشاح اسود في نصفه، وابيض في نصفه الاخر ، اما اطرافه فبنفسجية ، وكان يحمـل

سيفا بمقبض ذهبي مشدودا الى حزام من الجلد المشغول بخيوط مذهبة وله ابزيم ذهبي ايضا . وعلى رأس الفارس كان ثمة خوذة صفراء مرصعة بحجارة من الكريستال وعلى رأس الخوذة انتصب تمثال له جسم حيوان ورأس نسر وكانت في يده حربة رمادية اللون بقبضة مستديرة سماوية الزرقة ، وكان رأس الحربة ملونا بدماء ما تزال حارة .

واقبل الفارس مغضبا الى حيث كان الملك جالسا واخبره بان الغربان قد اجهزت على حاشيته من ابناء اشراف بريطانيا وانه يرجو الملك ان يأمر اوين بان يكف اذى غربانه عن الحاشية ، فطلب ارثر الى اوين ذلك ، وكان مغضبا بحيث امسك ببعض حجارة الشطرنج الذهبية وسحقها بين اصابعه حتى تفتتت ، ولكنه لم يقل شيئا لاوين ، الا ان هذا التفت الى الرجل الذي كان قد امره برفع الراية ورجاه ان يخفضها فخفضها فهدأت الغربان وعاد كل شيء الى وضعه الطبيعي . فسمع رجل طويل القامة يتحدث قائلا :

« انه لامر يدعو الى العجب ان يجتمع هذا العدد من الناس في مثل هذا المكان الضيق ، وما هو ادعى الى العجب ان يكون الناس هنا في حين انه يتحتم عليهم ان يكونوا في ساح المعركة » . عندها سمع الحاضرون نداء عاليا يستدعي حامل سيف الملك

فاقبل حـــامل السيوف رافعـــا سيف أرثر وقد نقشت على كل جانب منه صورة افعى ، فاذا سحب السيف من غمده بدا وكأن السنة لهب تنبعث من فم الافعى • لقد كان سيف الملك رائعا مخيفا بحيث لم يكن بمستطاع احد ان ينظر اليه • وقليلا قليلا هدأت الضجة وانقطع الصخب وعاد حامل السيف الى الخيمة •

هنا تساءل رونابواي من عسى يكون الرجل الذي يحمل سيف ارثر فعرف انه نبيل من نبلاء مقاطعة كورنول ، ومهمته ان يزود الملك خلال الحرب بالسلاح والعتاد •

ولما تحرك الجيش الكبير ركب رونابواي وراء « ادوغ » على حصان واحد قطع بهما الجدول ، وعندما بلغوا منتصف الجدول استدار ادوغ فاستطاع رونابواي ان ينظر الى وادي نهر السيفرن فرأى جيشين عظيمين يتقـــابلان عند الجدول • وبعد ان ترجل الفرسان سمع رونابواي ضجة عظيمة تنبعث عن الجيش ، وذلك حين انتقل الجند الذين يشكلون جناحي الجيش الى الوسط ، وانتقل رجال الوسط الى الجناحين • ثم برز فارس يلبس دروعا حلقاتها من زرد ابيض واحمر ، وكان البياض فيها اكثر نصوعا من بياض الزنابق والحمرة فيها اشد احمرارا من الدم ، وقد اتجه الفارس نحو الجيش •

هنا سأل رونابواي رفيقه : « قل لي يا ادوغ هل يزمـــع الجيش على الفرار ؟ » •

فرد عليه هذا قائلا : « ان الملك ارثر لا يهرب ابدا ولو ان احدا سمعك تقول ذلك لكـــان القتل من نصيبك • اما هـــذا الرجل الذي تراه فانه « كاي » اشجع فرسان بلاط الملك ارثر• ان هذه التنقلات التي شهدتها في حركة الجيوش ليست الا بسبب رغبة الجنود في ان يشـهدوا (كاي) وهو يركب حصانا ، ولقد تنحى بعضهم عن طريق حصانه ، وهذا سبب الضجة التي سمعتهــــــا » •

عندها سمع صوت كاي وهو يصيح : « ايها الرجال من كان منكم يؤيد ارثر فان عليه ان يجتمع الليلة في كورنول ، اما من لم يكن مؤيدا فانه سيكون عدوا ، لان المعركة قد بدأت » •

هنا التفت رونابواي الى ادوغ وقال •• « قلت لي اسمك ولم تقل ما لقبك فهل لي ان اعرف ؟ » فرد هذا قائلا « يلقبونني بمحرك الفتن»• فتساءل رونابواي: «اولا تقول لنا لماذا يدعونك هكذا » ؟ فقال : « نعم ••• لقد كنت واحدا من الرسل الذين ينقلون الرسائل بين الملك ارثر وابن اخيه مدرود خلال معركة كاميلان التي جرت بينهمـــا • وكنت اذ ذاك صغيرا ارعن ،

ولرغبتي في الاشتراك بالمعارك كنت اعمل على تحريك الفتنة واذكاء الغضب بين الطرفين . فلو قال لي الملك ارثر ان ابلغ ابن اخيه ان السلام اجدر بان يسود بينهما لانهما عم وابـــن اخ ، ولانه ليس امرا حسنا ان يقتل ابناء بريطانيا بعضهم بعضا ، قلبت الكلام وجعلته قاسيا خشنا يثير حنق مدرود فيرد باقسى منه ويشتد وطيس القتال بين الطرفين . وقد قتل في تلك المعارك العديد من ابناء بريطانيا والكثير من جنود الملك ارثر ، حتى انفرط عقد بلاطه ولجأ هو الى جبل حيث وقع عليه سبات عظيم لا يقوم منه الا اذا تعرضت الجزيرة البريطانية لخطر ما ، فينهض ارثر ليخلص قومه » .

وحين كان رونابواي ما يزال يستمع الى كلام القائد كان (كاي) ما يزال يصيح : « ايها الرجال من كان منكم مؤيدا لارثر فليجتمع الليلة في كورنول ، ومن لم يكن مؤيدا حسبناه عدوا » .

وانبعثت على اثر ذلك ضجة كبيرة صحا رونابواي عـــلى اثرها من نومه فوجد انه ما يزال يرقد على بساط من جلد ، وانه قد نام ثلاثة ايام بلياليها !!

عنترة

بطل الصحراء العربية

اعداد يونس تيتجنر

يعتبر عنترة بطلا من اعظم ابطال العرب واحسنهم منزلة في النفس . وقد عاش في العصر الجاهلي (اي قبل عصر الاسلام) ، كان محاربا مقداما يفوق المحاربين شجاعة وبأسا ، وكان شاعرا كبيرا ما تزال قصائده تجري على السنة العرب حتى اليوم ، وهو واحد من اصحاب المعلقات العشر التي يقال انها علقت على استار الكعبة المشرفة مكتوبة بماء الذهب .

« عنتـــرة »

بطـل الصحـراء العربيـــة

ليس هناك من لم يسمع باسم « عنترة » ، فارس العرب وشاعرها وبطلها الذي لم يستطع احد ان يغلبه في معركة او ينافسه في نظم القصائد الجميلة التي كان ينشدها فترددهـا من بعـده جنبـات الصحراء العربيـة •

وما يزال الناس حتى اليوم كلما اجتمعوا ليسمروا حـول نار مشتعلة، تحتسماء صحراوية ملتمعة النجوم شديدةالصفاء، واخذوا يستعيدون قصـة بطولاتهم كانت قصـة « عنترة » الفـارس ، « عنترة » الشاعر ، « عنترة » العـاشق علـى رأس تلـك القصص •

كان « عنترة » ابنا لعربي يدعى شداد ، حباه الله بسطـة في الجسم وشجاعة في القلب ، وكان سيدا من سادات قبيلـة « عبس » التي اشتهرت بشجاعة رجالها وجمال نسائها •

كانت قبيلة عبس من القبائل الرحل شـأن القبائل البدوية

التي كانت تسكن الجزيرة العربية ، او شأن اكثرها اذ ليس بين القبائل من استقر في المدن الا قبيلة او اثنتان ٠

وكان ثمة عداوة لا تهدأ بين القبائل ، فهي ابدا تختصم على ماء او مرعى ، ولكن هذه العداوة ما تلبث ان تختفي فتتضامن القبائل جميعا اذا ما دهمهـا عدو غريب ٠ فشرعـة القوة هي شريعة الصحراء ، وبغير القوة لم يكن بوسع قبيلة ان تحمي قطعانها ونساءهـا واطفالهـا وعبيدها وخيامهـا من غزوات الاعـــداء ٠

لقد حدث يوما ان تعرض بعض الغزاة لقطعان « عبس » فانتهبوا بعضا منها وولوا هاربين ٠ فاجتمع رجـــال القبيلـة واختاروا من بينهم عشرة من المحـــاربين الاشـــداء ليتعقبوا الغزاة وكان « شداد » واحدا من هؤلاء العشرة ٠

وفي الليل سرى الرجال بحثا عن الغزاة ، وكانوا يختفون نهارا فلا يشعر بهم احد ، فاذا حل الليل تابعوا المسير ٠ وبعد مسيرة ايام بلغوا واديا يقع بين بعض التلال ٠ وكانت علـى ارض الوادي آثـار تشير الى ان الغزاة عسكروا هنـــاك ٠ فاستدار رجال « عبس » يسارا وارتقوا احد التلال واشرفوا منه على الوادي فرأوا نارا مشتعلة واشباح خيام من حولها ٠

ولم يستطيعوا بسبب الظلمة ان يقدروا قوة عدوهم او عدده لذلك فضلوا ان ينتظروا بزوغ الفجر •

ولدى انبـــلاج الفجر وظهور الخيط الاول مــن خيوطه استطاعوا ان يروا اشباحا لخيام كثيرة مضروبة تشير الى ان قبيلة كثيرة العدد حسنة العدة قد نزلت في الوادي• ولان الضوء لم يكن منتشرا بعد فقد بدت لهم الاشيـــاء التي تتحرك مجرد اشباح ، ولكنهم ، اذ حدقوا جيدا ، لاحظوا ان قطيعا من الابل كان يتسلق التلال ببطء متجهـــا نحوهم • فتواروا عن النظر وجلسوا في مكمنهم ينتظرون حتى مر بهم ، وكان وراء القطيع امرأة يتعلق باذيالها طفلان ، وللحظة بدت لهــم المرأة سوداء تحت سماء الفجر الرمادية ، ولكنها كانت ممشوقة القوام، جميلة الملامح ، خفيفـــة الخطو ، رشيقة المشية ، فتحرك قلب شداد لمرآهـــــا •

ونهض رجال « عبس » وتعقبوا القطيع والمرأة خلسة ، واذ ابتعدوا قليلا عن مضارب الخيام في الوادي أغاروا علـــى القطيع ، وقادوه نحو خيامهم ، ومع القطيع المرأة وولداهـــا •

ولم يمض كبير وقت حتى تبين افراد القبيلـــة ان قطعانهم تعرضت لغزو فتعقبوا رجال عبس ونشب بين الفريقين قتـــال

مرير واكن « شدادا » ورفاقه ، رغم قلة عددهم ، خرجوا منتصرين ، واحتفظوا بالابل التي غنموها .

اخيرا بلغ رجال « عبس » حدود قبيلتهم واقبلوا على جدول ماء تريثوا عنده لارواء الابل من مائه ، ثم جلسوا ليقتسموا الغنيمة فيما بينهم وليستجوبوا المرأة الاسيرة .

كانت المرأة سمراء داكنة السمرة ولكن جمالها كان نادرا فوقعت من قلب شداد موقعا حسنا .

قالت المرأة ، واسمها « زبيبة » ، انها كانت اميرة حبشية وابنة لقائد عظيم وانها وقعت اسيرة في يد رجال نفس القبيلة التي اغارت على عبس وقد ولد لها في الاسر ولدان هما « شيبوب » و « جرير » .

وبعد ان انتهى الرجال من استجوابها راحوا يتشاورون فيما بينهم عن الكيفية التي يقتسمون فيها الغنيمة وهنا قال « شداد » :

« دونكم الابل فاقتسموها ، اما انا فلا اريد لنفسي شيئا منها ، كل ما اطلبه هو هذه المرأة وولداها » .

وهزىء الرجال بمطلب شداد ، فقيمة الابل كانت في نظرهم

تفوق بكثير قيمة امرأة سوداء ، وهكذا اقتسموا الابل وتركوا له المرأة ثم تابعوا مسيرهم •



واذ وصلوا المضارب انزل « شداد » المرأة وولديها في خيمة مستقلة بعيدا عن الباقين ، ثم راح يزورها واخيرا اتخذها زوجة له •

بعد مدة من الزمن ولدت له المرأة صبيا ، ولم يكن لهذا الطفل من مثيل بين اطفال الصحراء ، فقد بدا بعد ولادته مباشرة طفلا كبير الحجم اسمر قوي البنية ، كأنه فيل صغير •

وكان له شعر اجعد وعيناه ملتمعتان يحمر بياضهما اذا ما بكى او غضب ، فكأن شررا يقدح منهما ٠

كان الولد اشبه بزوبعة ، وكان جسمه شبيها بجسم ابيه فسر شداد سرورا عظيما بابنه واسماه (عنترة) ٠

وبمرور الايام اخذ الولد ينمو ، وكان الناظر اليه ، حين بدأ يحسن المشي ، يدرك من النظرة الاولى ان هذا الطفل سيكون ، اذا ما كبر ، على درجة عظيمة من البأس والقوة ٠ واذ رآه الرجال الذين اشتركوا مع ابيه شداد في الغزوة تلك شعروا بالندم ، اذ بدت الابل التي اخذوها اقل قيمة من هذا الولد الذي انجبته زبيبة لشداد ، وفكروا في ان يحتكموا الى رئيس القبيلة « زهير » فذهبوا اليه وقالوا :

« لقد ساعدنا نحن في اسر هذه المرأة ، لذلك فلا بد ان تكون لنا حصة في ابنها عنترة » ٠

وكان زهير حكيما فقال، «اي ولد هذا الذي رحتم تختصمون من اجله ؟ ان المسألة من اختصاص قاضي القبيلة ، ومع ذلك فانني احب ان القي نظرة على هذا الفتى فاحضروه الي » ٠ وهكذا احضروا عنترة الى مجلس الشيخ الجالس امام خيمته يأكل ، واذ رأى الولد امتلا دهشة وكانت في يده قطعة

لحم فالقى بها اليه وقال « هاك ، خذها » •

ولكن قبل ان يتمكن عنترة من تلقفها تقدم كلب من الكلاب الشرسة التي تحوم بين الخيام وانقض على قطعة اللحم كما ينقض الصقر على الفريسة وهرب بها، ولكن عنترة ركض وراءه حتى ادركه ، وامسك به من فكيه وقد اخذه الغضب واحمرت عيناه كبركتي دم ، ثم مزق فكي الكلب تمزيقا امام اعين الجميع •

واخذت الرئيس الدهشة وقال : « تلك مسألة لا تخصني فخذوه الى القاضي » • وهكذا اخذه الرجال الى القاضي الذي كان يفصل في امور القبيلة ، ولكن القاضي ، — وكان قد سمع بقصة عنترة مع الكلب — حكم ان يكون الولد من نصيب ابيه « شداد » •

ونما عنترة واشتد عوده اكثر فاكثر وغدا اشبه بشبل قوي ضار ولم يكن العرب البدو في تاريخهم قد عرفوا فتى له مثل هذه الشجاعة وهذا البأس •

حين بلغ الولد الرابعة من عمره اخذ يقوم بجولات منفردة يمضي بها الى خارج المضارب ، لانه كان يحب الوحدة ويحب السير تحت شمس الصحراء الحارقة نهارا وتحت برد سمائها القارس ليلا ، فيروح يقفز بين جنبات تلالها كما يقفز غزال


O. Orsi

رشيق • ولم يكن يخاف الحيوانات الضارية في شيء ، كان يذبح الذئاب ويقبض على الكلاب الشرسة ويمتطي ظهورها ، وكانت جسارته تشتد يوما بعد يوم •

وكان « عنترة » عنيدا في بيته يرفض ان يتناول طعاما لا يحبه ، او ان يقوم بعمل لا يشعر برغبة في القيام به • وكان يفرض ارادته على كل ابناء العبيد ، بل على كل ابناء القبيلة حتى ضجت به القبيلة وخافت شراسته وعنفه • ولم يكن عنترة يحتـــرم ارادة أحـــــد الا اذا كانت ارادة والده الذي يحبـــه « شداد » •

عندما اصبح عنترة صبيـــا كبيرا كان من واجبه ان يقود قطعان الابل والمواشي الى المراعي ، وكان اول الامر يذهب بصحبة « زبيبة » امه ، ولكنه فيما بعد صار يذهب وحيدا ، ولقد سره ذلك •

الا ان عنترة لم يكن بطبيعته راعيا، بل لم يكن يحسن رعاية القطعان ، فكان يسوقها امامه مستحثا اياها بالقاء حصوات صغيرة عليها كان يقذف بهـــا بمهارة بالغة ، وكان يفزعهـــا بصيحاته التي يطلقها في وجهها ، كما انه في بعض الاحيان لم يكن يلتفت اليها ابدا بل يتركها وشأنها ويستلقي ساعـــات

في الشمس غارقا في افكاره وتأملاته لاهيا عن القطعان بما هو فيه ، فما تلبث هذه ان تشرد وتهرب او توغل بعيدا فتكون عرضة للوحوش •

كل هذه الامور قد جعلت من عنترة شخصا لا يشبه عبيد القبيلة في شيء ، وكان كل شيء فيه يدل على انه سيكون شديد البأس في المستقبل ، ولكن اباه « شداد » ، بالرغم من انه كان يفخر بقوة « عنترة » وشجاعته ، كان يتضايق من المتاعب التي يثيرها في القبيلة فيقول :

« ماذا سيكون من امر ابني الغريب الشأن هذا ؟ »

ورغم ما كان يبدو على الفتى من مظاهر العنف الا انه في اعماقه كان يتصف برقة الشاعر وبسجايا الفارس الذي يبسط حمايته على النساء والضعفاء •

وعندما كان عنترة ما يزال في الخامسة عشرة وقعت له حادثة اذاعت من امر شهامته ما كان خافيا على بعض الناس ، وتلك هي تفاصيل الحادث •

كان « لزهير » سيد القبيلة وشيخها عشرة ابناء يختلفون مزاجا وشخصية ، منهما اثنان كانت لهما علاقة مباشرة بتلك القصة التي سنرويها عن عنترة • اما اكبر الولدين ويدعى

« شص » فكان وريثا لاملاك « زهير » ، وكان انسانا لا حد لصلفه وكبريائه. اما الاصغر ويدعى « حاتم » فهو رجل شجاع يتصف بالكرم والعدل . ولهذا كان موضع حب القبيلة باسرها.

ولسيد القبيلة مائتان من العبيد يشرفون على رعاية قطعانه الكثيرة وابله ، كما كان لكل من ولديه مثل ما لابيهما من عبيد وانعام . وكان لشص عبد يدعى (داجي) معروف بقوته وبطشه ، فكان « شص » يعتز بعبده هذا كثيرا نظرا لقوته فقد كان يخشاه كل عبيد القبيلة ولا يجرؤون على مخالفة ارادته ورغباته باستثناء عنترة الذي كان لا يخاف احدا ، والذي لم يكن يحسب لداجي اي حساب ، فكانت بين الاثنين عداوة مستترة ولكن لم يحدث بينهما ما يوجب الاحتكاك نظرا الى ان « داجي » كان مستخفا بقوة عنترة .

ذات مرة اجتمع فقراء القبيلة وايتامها وساقوا قطعانهم الى موضع ماء يقع في ابعد نقطة من حدود الموضع الذي ضربت فيه القبيلة خيامها بين الحجاز واليمن ، ولم يكن الماء وفيرا في ذلك الموضع ولا بد من استعماله باقتصاد حتى يكفي حاجات القبيلة باسرها .

وهكذا مضى الجمع بقطعانهم الى موضع الماء الا ان الماء

كان ضحلا ولا يمكن ان تشرب منه الا القطعان التي ترد اولا ، فما كان يبقى عنها من مـــاء كان يبدو ملوثا بالطين لا يصلـــح لشيء •

واذ بلغوا الموضع تصدى لهم (داجي) واوقفهم وطردهم واستولى على ما معهم من ابل وضمها الى قطعان سيده ، هنا تقدم منه رجل طاعن وقال :

« كن طيبا يا داجي ودع قطعاننا تشرب فهي كل ما نملك ، واننا لنعيش على لبنهـــا ، فارحم ضعفنا وفقرنـــا » الا ان داجي لم يدر بالا له وانتهره •

ثم جاءت امرأة عجوز كانت تبدو على ملامحها قسوة الحياة في الصحراء وخاطبته متوسلة :

« يا داجي انني امرأة ضعيفـــة طاعنـــة السن كما ترى ، رماها الدهر بسهامه ففقدت رجالها من زوج واولاد ، فهـــذه الرؤوس القليلة من الماشية هي كل ما املك • فاشفق علـــى حالي ، وكن طيبا ودعها تشرب » •

وعندمـــا سمع داجي هذه الكلمـــات ازداد كبرياء ومـــا تزحزح عناده ، بل تقدم من المرأة وضربها في بطنها فوقعت على ظهرها ، واخذ العبيد الذين كانوا مـــع داجي يهزأون

بهـا ويضحكون من منظرها •

في تلك اللحظـــة كان عنترة يقف على مقربـة فرأى مـا وقع للمرأة الضعيفة فاشتعل غضبا وحنقا وتقدم من داجي وصاح به :

« يا وجه الشؤم ، ما هذه الفعلة الحقيرة ، كيف تجرؤ على اهانة امرأة عربية ؟ الا لعنة الله عليك » •

ولما سمع داجي هذه الاهـانة ثارت اعصابه فرفع يـده وهوى بها على وجه عنترة ، وكانت الضربة من القوة بحيث فتلت رأسه وجعلت الدنيا تغيم امام عينيه ، الا انه انتظر حتى تمالك نفسه وعاد اليه احساسه ، ثم ركض وانقض على العبد وامسك به من احدى رجليه ثم وضع يده الاخرى تحت فكه ورفعه الى الاعلى ثم هوى به الى الارض في عنف شديد ثم داس على جسمه وراح يزأر كالاسد • واذ رأى العبيد ما حل بداجي صاحوا بعنترة قائلين :

« لقد قتلت عبد سيدنا « شص » فمن الذي سيحميك الان من غضبه ؟ » • ثم اجتمعوا عليه وراحوا يرجمونه بالحجارة الا انه قاومهم جميعا بعصا كان يحملها كما يحمل المحارب السيف »

وفي تلك اللحظة تصادف ان مر حاتم بهم راكبا حصانه واذ

رأى كيف اجتمعت الكثرة على شخص واحد فرقهم عنه • ولما سمع السبب الذي جعله يقتل داجي وعده بحمايته ، واصطحبه عائدا به الى المضارب واخذه الى سيد القبيلة « زهير » وقص عليه ما كان من امر عنترة مع داجي • غير ان «شص » قد جاء في الوقت نفسه الى ابيه وطلب اليه ان يقتل عنترة انتقاما لعبده القتيل •

غير ان زهير كان رجلا عادلا ، وكان العدل سجية من السجايا التي يحبها العرب ويقدرونها ، واذ سمع القصة فانه استحسن ما فعله عنترة انتصارا لامرأة ضعيفة عجوز ليس لها من يحميها فربت على كتفه قائلا :

« الا بورك بالفتى الشجاع الذي يبسط حمايته على النساء ويحفظ لهن كرامتهن » •

واذ عاد عنترة الى خيمته وجد جمعا من النساء في انتظاره فاخذن يثنين على شهامته وشجاعته وكانت بينهن عبلة بنت عمه مالك اخي شداد •

وذاع صيت عنترة بين افراد القبيلة جميعا • الا ان هذا العمل بالذات قد خلف له اعداء وكارهين لا سيما « شص » الذي كان يجهر بعداوته ويثير على « عنترة » رجال القبيلة •

وقد دفعهم الى ان يجتمعوا مرة ليبحثوا في امر عنترة فتقدم مالك وقال : « ما من احد يدري مغبة الاعمال التي قد يأتي بها هذا العبد . فالذي يفعل مثل هذه الفعلة لا بد ان يرتكبها ثانية وثالثة ، وقد يعتدي في يوم من الايام على سيد من ساداتنا فيقع في القبيلة شقاق ما بعده شقاق ، وتسفك دماء كثيرة ليس هناك من موجب لسفكها » ثم تقدم « جواد » وهو اخ ثان لشداد وقال : « لن يكون مأمونا بعد الذي حدث ان يمضي هذا الفتى الاحمق بقطعان اخينا شداد وقد يسبب له من المتاعب ما هو في غنى عنه فدعونا نحتال على قتله » .

وقال ثالث : « صحيح ما يقوله جواد ، ولكن يجب ان ننفذ فيه القتل سرا والا غضب منا سيدنا «زهير»، وكذلك «شداد». فدعنا نستدرجه الى مرعى بعيد ونقتله هناك .

وهكذا راح « مالك » و « جواد » يتعقبانه وهو يسوق القطعان للرعاية .

وكان الفتى في ذلك اليوم يجوب الفلوات والصحاري حتى اقبل على واد يسمى « وادي الاسود » ، كان مقرا لكل فاتك من الضواري والوحوش ، وكان يمني نفسه بلقاء وحش يصيده اذ كان الدم يجري حارا في عروقه ، قال في نفسه « لو مر بي



اسد لنازلته » • وهكذا صعد الى تلة اخذ يتطلع منها الى مـــا حوله من اراض وسيعة فسيحة ، حتى بدا له من بعيد اسد كان زئيره يسبقه ، واذ سمع صوت الاسد تحفز واتسعت فتحتا منخريه ، وابتدأت عيناه تقدحان شررا ، واذ اقترب الاسد اطلق القطيع الذي كان عنترة يرعاه سيقانه هربا فراحت الابل تتفرق يمينا وشمالا •

وما ان لمح عنترة الاسد حتى كر الى الوادي رافعا قبضته ، وهناك وقف الاسد وبدا هائلا في قوته وهو يضرب جانبيه بطرف ذيله ، فصاح به عنترة صيحة رددت الفلوات صداها ،

« اهلا بك يا سيد الوحش هيا وازأر كما تشاء زهـوا وكبرياء ، فانت بلا شك ملك الحيوان ولكن لا تخـل انـك قادر على ان تنال اظفر عنترة او تخيفه بهذا الزئير ٠ بالعكس سيقتلك « عنترة » لا بسيف او سهم ، وانما سيسقيك كأس الموت بيديه هاتين » ٠

وهكذا رفع عنترة قبضته وانقض على الاسد ٠

وقد تصادف ان كان جواد ومـالك متربصين بقصد قتـل عنترة فرأياه وهو يهبط التل الى الواديلمصارعة الاسد وسمعاه يتهدد الاسد بما تهدده به ٠ وكان منظر عنترة لا يقل رهبة عن منظر الاسد وهو مقبلعليه كأنهعاصفة٠ ثم وقف امامهكانه حنش أسود وتحفز وهجم عليه فامسك فكه الاعلى بيد والاسفل باليد الاخرى ، وراح يشد حتى مزق فمه ولحم وجهه حتى الكتف ، وهو يجأر فيتردد جئيره في ارجاء الوادي ٠

واذا رأى عماه هذا المنظر اخذتهما الدهشة والرعب ٠ ولما تمالكا نفسيهما قال جواد :

« لا شك انه ما من مثيل لهذا الفتى ، وما من انسان لديه ذرة من عقل يمكن ان يتحرش به » •

وارتجف مالك وهو يقول : « عظيم حقا ما فعله وليس فينا من يستطيع ان يناله بسوء والا فعل بنا ، وبأقل الجهد ، ما فعل بالاسد » •

« اذن دعنا نعود ، وفي رأيي انه حرام ان نمس هذا البطل بسوء » •

وعاد عنترة الى المضارب مزهوا يفيض وجهه فخرا ، وقد حمل جلد الاسد يعرضه لعيون اهل القبيلة • واذ بلغ الموضع الذي تجلس فيه امه زبيبة القى بالجلد على الارض امـــام قدميها وقال :

« قولي هل انجبت الامهات قبلك ولدا له مثل هذا البأس؟»

وهكذا ذاع امر عنترة بين القبائل ، فكان الفارس الذي يتناقل الناس قصص بطولاته وشهامته ، الشاعـــر الـــذي يحفظون له اجمل شعر الفخر والغزل ، والعاشق الذي يعرف العرب جميعا قصة حبه لعبلة بنت مالك •

رُستم وجواده الأصهب

إعداد هيلين زيمرن

كان لفريدون العظيم ، الذي شمل سلطانه العالم ، ثلاثة أبناء : « سليم » الحاذق ، و « تر » الشجاع ، و « ايريج » الحاذق والشجاع معا . وبعد موت فريدون توارث ابناؤه ملكه ، فكانت « فارس » من نصيب « ايريج » . وقد حكم ايريج وخلفاؤه فارس بقوة عظيمة . ولكن منوشهر حفيد ايريج ، كان اعظمهم قوة ، لان قائد جيشه كان بطلا يدعى «صوم»

وكان ان رزق صوم وزوجته بمولود دعياه «زال» . ولكن الشعر الابيض الذي كان في رأس « زال » عند ولادته تسبب في اعتباره شؤما . ولذلك خشي صوم من ابنه ، ولم يجرؤ على ابقائه حيا ، فوضعه على قمة جبل ليموت في العراء . ولكن طائرا كبيرا يعرف بالسمورغ نجاه من الموت وتعهده بالعناية . وعندما اصبح زال رجلا عاد الى احضان والده وتزوج بامراة تدعى « روذبة » انجبت له ابنه رستم .

وقد تناقل الرواة اخبار هؤلاء الابطال الفرس مدى سنين عديدة، وقد جمع « الفردوسي » هذه الاساطير ، سواء المروى منها والمكتوب ، في مجموعة تقارب الالف قصة في كتاب اسماه « الشاهنامة » اي كتاب الملوك .

رستم وحصانه الاصهب

كانت روذبة قبل ولادة « ابن زال » تتقاسي شديد الالــم فلا تجد راحة خلال النهار او اثناء الليل ، فشعر « زال » بقلق وانزعاج ولكنه تذكر الطائر « سمورغ » الذي كان قد رباه ، وكيف كان قد اعطاه ريشة يلجأ اليها في اوقات الضيق • وكما اوصاه الطير ، القى زال بالريشة الى النار ، وللحال اصطخب الهواء باصوات اصطفاق اجنحة ثم اظلم الجو ووقف طير الله امام « زال » وقال له :

« لم انت مضطرب يا بني ، ولم تغرورق عينا اسد مثلك بالدموع » •

عندها روى زال اسباب حزنه فامره الطائر بان يطيب نفسا لانه ، وقد رباه وحماه حين تخلى عنه والده ، قد اتى ثانية ليغيثه •

واطلعه الطير على ما يجب عليه ان يفعله ، واذ انتهى من كلامه طار عائدا الى عشه• ففعل «زال» ما امره بهالطير فولد له

ابن جميل الطلعة ، واذ رأت روذبة ابنهـــا الرضيع ابتسمت وقالت : « من الحق ان نسميه رستم (التي تعني خلص) فاني قد تخلصت من آلامي •

وفرحت البلاد باسرها لمولد « رستم ابن زال » البطل ، وتجاوبت اصداء الابتهاج والحبور في جميع الانحاء •

وللحال انطلق الرسل مسرعين الى « صوم » والد زال وجد رستم ، ناقلين اليه البشرى السارة حاملين معهم صورة لرستم طرزت على قطعة من الحرير ، وقد ظهرت فيها ملامح هذا الشبل حاملا في يديه هراوة راكبا جملا سريعا • واذ رأى « صوم » الصورة تحرك قلبه سرورا والقى باكوام الذهب عند اقـدام الرسـل وشكر الالـه « هرمز » اذ متـع عينيـه بمرأى هـذا الطفـل •

واذ تتابعت فصول صيف ثمانية علم صوم بان رستم قـد غدا قوي البنية ، حسن الطلعة فتاق قلبه اليه ، ولذلك جهز جيشا عظيما واجتاز البلاد متجها الى « زابولستان » كـي يرى ولده ، فركب رستم فيلا واتجه لمقابلة سيده وجده ، واذ رأى صوم خر راكعـا والتمس بركتـه فبـارك صوم حفيده رستم ابن زال •

ثم راح رستم يقول لصوم :

«ايها العظيم يسعدني ان اكون من نسلك فلست اشتهي الاحتفالات ولا ارغب في نوم او راحة • ان قلبي تواق الى اعمال الفروسية ، واني لاشتهي حصانا وسرجا ودرعا من زرد وخوذة لاقهر اعداءك ، ولتكن شجاعتي مثل شجاعتك » •

ودهش صوم لدى سماعه مثل هذا الكلام فبـــارك رستم ثانية ، ولم تشبـــع عينـــاه من النظر اليـــه فاستبقـــاه عنده شهرا كـــاملا » •

ومر على الزيارة عامان من الزمن ، وذات يـــوم استيقظ رستم من نومه على صوت هدير عظيم هز اركان المنزل • وقد شاع بان فيل الملك الابيض قد هاج وحطم سلسلته ، وبأن اهل المنزل في خطر • واذ علم رستم ذلك قفز من فراشه وطلب الى الحراس ان يسمحوا له بالخروج الى الفناء ليقهر الحيوان ، غير ان الحراس اعترضوا طريقه قائلين : « وكيف نـــؤدي الحساب الى الملك اذا ما وقع لك مكروه ؟ » •

ولكن رستم لم يصغ لقولهم بل فتح له طريقا بذراعيه القويتين ، وبقوة قبضته هدم حواجز الباب ، واذ صار خارجا رأى جميع المحاربين يرتجفون خوفا من الفيل الذي جن غضبا ،

فشعر رستم بالخجل عنهم ، واسرع راكضا نحـــو الوحش صارخا صرخة قوية ، واذ رآه الفيل رفع خرطومه ليضربه به ولكن رستم عاجله بضربة هراوة على رأسه واخذ يكيل له الضربات حتى مات ، واذ فعل ذلك عاد الى فراشه ونام حتى الصباح ، غير ان انباء بسالته شاعت في منزل الملك وانتشرت حتى وصلت الى بلاد « صوم » وابتهج « زال » وابتهج معه جميع الناس لان بطلا قد ظهر في بلاد فارس .

والان اذ كانت هذه الامور تجري في بيت زال في بلاد زابولستان كان « منوشهر » يستعد لمغادرة هذه الحياة الدنيا اذ بلغ المائة والعشرين من العمر فدعا ابنه « نادر » وزوده بالنصائح الحكيمة وحضه على السير في سبل الحكمة وامره ان يدعم عرينه بقوة صوم ، وزال ، والطفل الذي نشأ من صلبهما . واذ اتم منوشهر كلامه اغلق عينيه وشهق ورحل عن هذا العالم ولم يبق منه سوى ذكره .

الا ان « نادر » تغافل عن نصح ابيه فاساء في حكمه الـــى الناس ، وحكمهم ببطش واستبداد ، وارتكب اعوانه اعمال العنف باسمه ، وثار الناس وتذمروا ، وذهب وجهاؤهم الى « صوم » رافعين شكاويهم وشكاوى الشعب اليه ، ورجوه ان ينزع التاج عن رأس « نادر شاه » ويضعه على رأسه. واذ

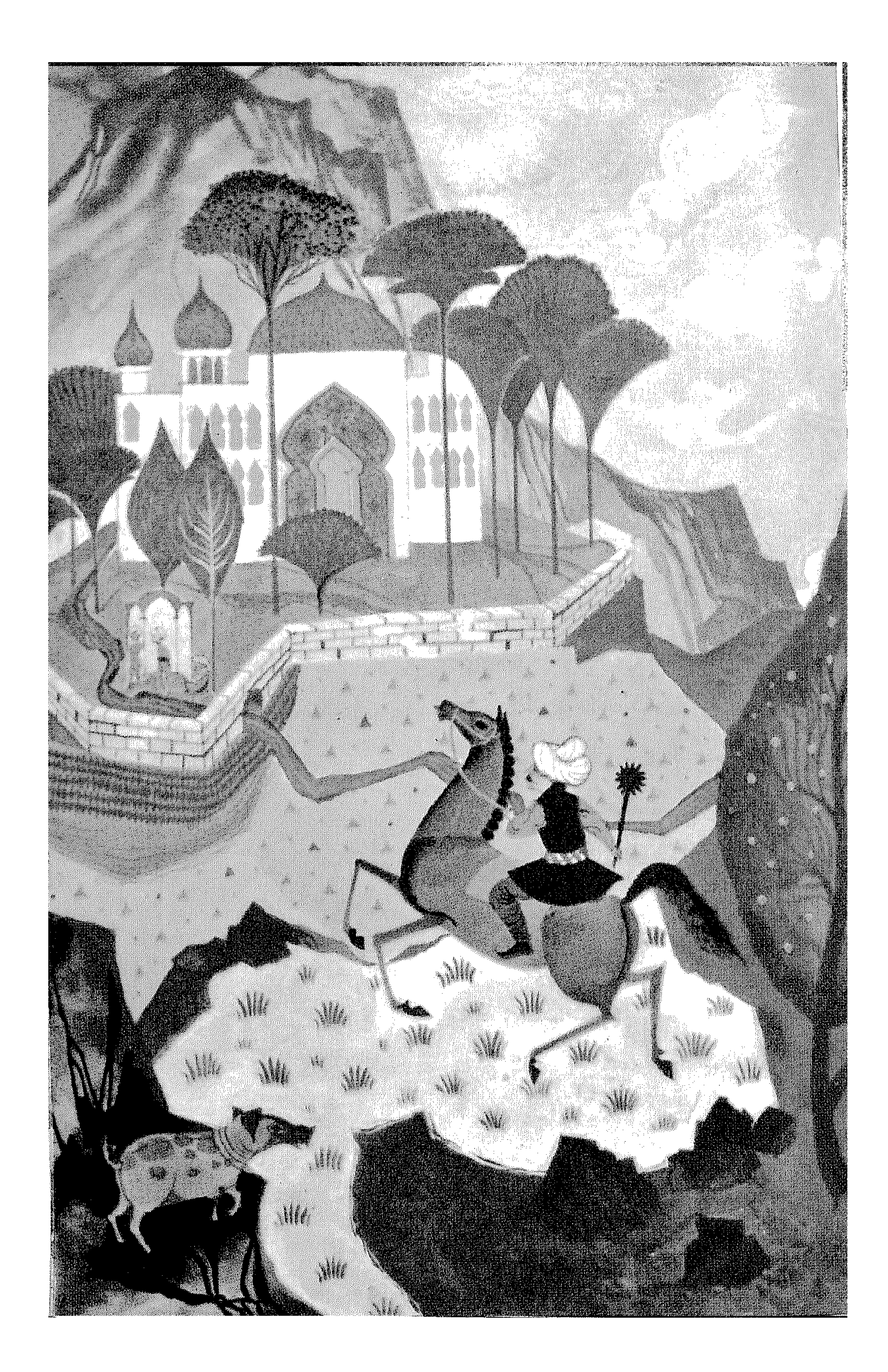
سمع صوم هذا الكلام شعر بالاسى وتكلم قائلا :

« كلا • لا يليق بي ان اسعى وراء التاج فان « نادر » يتحدر من سلالة الكيانيديين ، ولهؤلاء وحدهم اعطيت القوة والسلطان » •

ثم انه تمنطق بسيفه ، وصحب جيشا وسار متوجها الى الشاه « الملك » ، وعندما وصله اخذ ينصحه ويوجهه كي يقلع عن سبل الشر ، وقد تاثر نادر بما سمعه من كلام مخلص فارتدع عن غيه ، وهكذا عم الفرح البلاد من جديد •

الا ان الانباء كانت قد انتشرت من ان الملك العادل « منوشهر » قد مات ، وبان يد نادر ، ابنه ، قد ثقلت على البلاد ، وبلغ الخبر مسامع « بوشان » وهو من نسل (طور) فتلقاه بسرور ، وقدر بان الوقت قد حان ليثأر لابيه ويستولي على ميراثه • واذ كان افراسياب ابنه يعد الجيش وفقا لرغبة والده « بوشان » ذاعت الانباء من ان « صوم » قد مات ، وبان « زال » قد اعتكف في منزله كي يقيم لوالده قبرا فتشجع افراسياب وجنوده لدى سماعهم مثل هذه الاخبار وساروا مسرعين ليعبروا الحدود •

ولكن « نادر » حفيد فريدون كان على



علم بقدومهم فاعد نفسه للقاء اعدائه داخل بلاده ، واعد جيشا غطى الارض وما فيها ، الا ان جيش افراسياب كان عظيما ايضا • وقد زحف على الدنيا كأنه نمل وجراد ، وضرب الجيشان خيامهما في سهول دستان واستعدا للقتال • فصهلت الخيل التي هزت الارض بسنابكها واثارت الغبار الى عنان السماء • وعندما نظم الجيشان جنودهما حملا على بعضهما ، واشتبكا لمدة يومين في معركة ضارية حامية الوطيس دون ان ترجح كفة احدهما ، وقد ساد الصخب والضجيج ، وبدا ان السماء اختلطت بالارض وسالت دماء المتحاربين انهارا ، وتهاوت الرؤوس عن الاجساد كأنها اوراق خريف ذابلة ، ولكن القتال تحول في اليوم الثالث الى مصلحة الجنود الطورانيين (الاتراك) ووقع نادر وجنوده اسرى في قبضة العدو •

ثم ان افراسياب قتل « الشاه نادر » واعتلى العرش معلنانفسه سيدا لفارس ، وطلب الى جميع الناس ان يقدموا له الطاعة ويرفعوا له العطايا ، الا ان الناس لم تدر بالا له ، بل انفذوا رسلا الى سايستان طالبين مشورة من « زال » • واذ سمع اخبارهم طرح جانبا حزنه على والده « صوم » وشمر عن ساعديه استعدادا لملاقاة اعدائه الطورانيين ، واستحث



الفرس على اختيار « زو بن طمسب » مـن نسـل فريدون وقريب نادر شـاه ليسودهم على عرش الكيانيديين ، وفعـل النـاس ما امرهم به زال •

وبنفوذ « زو » تجدد شباب عرش « فريدون » مـرة اخرى ، فقد ارغم جيش الطوارنيين على الانسحاب وانتزع منه عهدا بالسلم ، واتفق على ان تكون جيحون حدا يفصل

بين البلدين ، وان تنتهي سلطة البهلوي زال في المكـــان الذي يتخذ الناس فيه من الخيام مأوى لهم • وملك « زو » بالحق امام الاله « هرمز » ، فاغدقت السماء على البلاد خيرا وفيرا ، الا ان سنوات حكمه كانت معدودة اذ مات وخلفـــه في الملك ابنـــه « كرشاسب » ولم يكتب له ايضا ان يملك طويلا او ان يكون ملكه مجيدا • وحل سوء الحظ ثانية في البلاد اذ شغر عرش الكيانيديين • وعندما عرف « افراسياب » بالامر فعل مثلما فعل والده من قبله ، واسرع الى بلاد فارس ليملك عليها • واذ علم الفرس بذلـــك خـــافوا خوفا عظيما وتوجهوا الى زال ابن صوم وخاطبوه بلهجـــــة قاسية واكثروا لومه لانـــه لـــم يجنبهـــم هذه الاخطار • وضحك زال في نفسه من نكرانهم الجميـــل وسطحية تفكيرهم ، ولكنه في الوقت نفسه حزن معهم عـــلى بلاده وكلمهم قائلا : « لقد قمت دائما بواجبي تجاهكم ولم اخش طول حياتي عدوا سوى الشيخوخة وها قد استطاع هذا العدو ان يزحف الى جسمي ، فعليكم بابني « رستم » ، التمسوا معونته كي ينقذكم ، وستعاضده مشورات والده •

ثم دعا ابنه اليه وكان ما يزال فتى يافعا وقال له :

« يا بني ان رائحة الحليب ما تزال تفوح من شفتيك ، وحري بقلبـــك ان يشغف بالمسرات ، ولكن الوقت عصيب ،

وفارس تتطلع اليك في محنتها ، وعلي ان ابعث بك لتواجه المحـــاربين » •

واجابه رستم بقوله : « تدري ايها الوالد ان لي هوى في الحرب لا في اللذائذ ، فامنحني حصانا قويا ، وسلمني صولجان « صوم » ابيـك واسمـــح لي بالخروج لملاقـــاة جيوش المعتديـــن » •

ورقص فؤاد زال طربا لدى سماعه هذه العبارات الباسلة ، وامر بان تحضر قطعان الخيل من زابولستان وكابول وتعرض على ابنه رستم ليختار من بينها حصانا يركبه • واذ راح رستم يستعرض الخيول اخذ يتفحصها بوضع يده على ظهر كـل حصان ليرى ما اذا كان مستطيعا ان يحمل ثقله وبأسه • وكانت الخيل ترتعش تحت قبضته فتنحني ثم تسقط على مؤخراتها ، وقد فعل ذلك مع سائر الخيول، حتى وصل الى قطعان «كابول»، فرأى في وسطها فرسا قوية يتبعها مهر مثلها له صدر الاسد وكتفاه ، وقد بدا قويا كالفيل ، وكان له لون كلون اوراق ورد انتثرت فوق ارض زعفرانية • وبعد ان تفحص رستم المهر بنظره عقد بحبله انشوطة القى بهـا ، فأحاطت بعنق المهر ، فامسك به برغم ما اظهره المهر من مقاومة عنيفة ، وقد اقبل حارس الخيول الى رستم وقال : « ايها الشاب القوي انصحك

بالا تستولي على حصان غيرك » ٠

فرد رستم قائلا : « من يملك هذا الحصان ؟ انني لا ارى علامات على جانبيه » ٠ فقال الحارس : « لسنا نعرف من يكون سيده ، والاشاعات كثيرة عنه ، والناس يدعونه « راكوش » واني انبهك بان امه لن تسمح لك بركوبه » ٠

واذ سمع رستم هذا الكلام وثب الى ظهر الحصان ، ورأت الفرس ذلك فهجمت عليه ، وكانت على وشك ان تنجح في اقتلاعه عن ظهر ابنها المهر ، ولكنها ، اذ سمعت صوته ، تراجعت ولم تعترضه ٠ فانطلق الحصان الاصهب كالريح حاملا رستم عبر السهول ٠ ولما عاد رستم كلم الحارس قائلا : « ايمكن ان اعرف كم تطلب ثمنا لهذا التنين ؟ » فرد عليه الحارس قائلا : « اذا ما كنت رستم فاركب هذا الحصان وخلص فارس من كربها ، ان الثمن هو تخليصك فارس ، وانت كفيل بذلك اذا ما ركبت هذا الحصان » ٠

وفرح رستم بحصانه « راكوش » الذي يعني « البرق » وشاركه « زال » فرحه ، واستعد كلاهما لصد افراسياب ٠

كان الموسم ربيعا ، وكانت المروج تكتسي بحلة خضراء بهيجة عندما سار «زال» على رأس جيوشه لمحاربة افراسياب حفيد طور ورفرف علم كاوه عاليا في الجو ٠ وسار القائد « مهراب »

في الميسرة والقائد « جستاهم » في الميمنـــة و « زال » في الوسط ، اما رستم فقد تقدم الجميع ، وكان عدد الرجال الذين ساروا خلفه كبيرا لا يحصى كرمال البحر ، وقـــد تجاوبت اصوات صنوجهم • فكانت الساعة اشبه بساعة الحشر عندما يبعث الاموات من قبورهم •

وسار الجيش بانتظام حتى بلغ نهر « راي » ولم يعد يفصل بين الجيشين سوى مسافة قليلة الا ان افراسياب لم يفزع اذ سمع بان رستم وزال قادمان لمحاربته ، بل قال لنفسه ليس الابن سوى صبي صغير ، اما الاب فشيخ • ولذلك لن يكون عسيرا ان ادمرهما واحتفظ بسيادتي على فارس •

واذ اخذ زال يعد رجاله للمعركة خاطبهم بقوله : « ايها الرجال الاشداء البواسل • اننا كثيرون ولكن ما من زعيم لنا ، فليس لدينا شاه يزودنا بالنصائح ، لكن افرحوا ولا تكتئب قلوبكم ، فقد سمعت بان احد احفاد فريدون ما يزال حيـــا يرزق ، والى هذا الحفيد يجب ان يؤول عرش فارس ، وهـــو على ما فهمت شاب عاقل مقدام » •

واذ انهى زال كلامه استدار نحو رستم وقال : « يا بني اني اعهد اليك بالذهاب بسرعة الى جبل البرتز ، فلا تتمـــاهل في سيرك ، وامض الى « كاي كوباد » حفيد « فريدون » ،

وقل له بان جيشه بانتظاره ، وان عرش الكيانيديين ينتظـر من يجلس عليه •

وعندما تلقى رستم الامر خر ولامس الارض بجبينه امام والده ، ثم مضى في مهمته دون تلكؤ ، فكان صولجـان القوة في يده ، وراكوش الذي يسابق الريح تحته • وسار الى ان اقترب من جبل البرتز حيث المكان الذي ولد فيه ابوه ، ورأى في سفح الجبل بيتا جميلا كبيوت الملوك تحيط به حديقة واسعة يسمع فيه خرير مياه ، وفيها كل صنوف الاشجار وانواعها • وفي ظلال هذه الاشجار قريبا من جدول صغير قـام عرش انتصب عليه شاب جميل جمال القمر ، يحيط به فرسانه ، فاذا نظر الناظر الى الناس وما حولهم من مناظر حسب نفسه في فردوس من الجمال والعطور •

وعندمـا رأى رجـال حاشية الملك رستم بن زال تقدموا منـه وقـالوا :

« ايها البهلوي لا يليق بنا ان ندعك تسير في طريقك قبل ان تسمح لنا باكرامك كضيف ، واننا لنرجوك ان تترجل عن حصـانك وتشرب كأس الصداقة في منزلنا » • فقال رستم : « شكرا لكم واسمحوا لي بمتابعة السير حيث انني مكلف بمهمة لا تحتمل التأجيل ، ولذلك لا يمكن لي ان اتأخر » •


فقالوا له : « ان كنت ماضيا الى الجبل فنرجو ان تكشف عن طبيعة مهمتك فقد عهد الينا بحراسة جوانب هذا الجبل » •

فاجاب رستم : « اني انشد هناك فتى من نسل فريدون الذي طهر العالم من رجس زوهاك ، والملك الذي اطلبه فتى عالي الجبين ، فان كنتم تعرفون « كاي كوباد » فارجو ان تخبروني اين استطيـــع ان اجده » •

عند ذلك فتح الفتى الجالس على العرش فمه وقال : « ان كاي كوباد معروف لدي ، ولو انت دخلت هذه الحديقة وابهجت نفسي بوجودك ، فسأطلعك على بعض اخباره » •

عندما سمع رستم هذا الكلام قفز مترجلا عن حصانه ودخل المكان • فامسك الشاب بيده وسار به نحو سلم العرش ثم صعد • وبعد ان جلس شرب نخب الضيف ، ونظر الى رستم مستفهما عن سر سؤاله عن « كاي كوباد » ، ومن هو الذي رغب اليه في البحث عنه • فحدثه رستم كيف ان والده ارسله على جناح السرعة كي يرجو الملك الشاب ان يكون مليكهم ، وان يقود الجيش ضد اعداء فارس • وبعد ان اصغى الشاب الى النهاية ابتسم وقال : « انظر الي ايها البهلوي فانا هـــو كاي كوباد نفسه الذي تبحث عنه » •

واذ سمع رستم هذا الكلام انحنى امام الشاه وحياه تحية



الملوك ، فمد الملك يده وانهضه فهتف رستم : « يحيا الشاه » •

وللحال انتشرت في الجـو اصوات الات موسيقية وعـم الفرح سائر الحضور • وعندما ساد الهدوء ثانية فتح « كاي كوباد » فمه وقـال :

« ايها النبلاء استمعوا الى ما ساورويه عن الحلم الذي رأيت، ومن ثم ستعرفون لم دعوتكم للالتفاف حول عرشي ، فقد رأيت في منامي صقرين ابيضي الجناحين قدما الي من فارس وقـد حملا في منقاريهما تاجا يلمع كالشمس ووضعاه على رأسي ، وهو ذا رستم قد اقبل علي الان مثل طير ابيض من قبل والده الذي هو ربيب طير ، وقدم لي تاج فارس » •

واذ سمع رستم قصة هذا الحلم قال : « من المؤكد ان هذه رؤيا الهية ولكنني اطلب اليك ان تستعجل الامور فـان فارس تئن من الجور وتنتظر قدومك بفروغ صبر » •

واستجاب « كاي كوباد » الى رغبات رستم وقفز الى ظهر حصانه وسار ورستم ليل نهار حتى بلغا تلالا تشرف عـلى سهول خضراء ترويها جداول عديدة • وعبر رستم بالملك سالما خلال مراكز طلائع جيش العدو • وعندما حل الليل سار بـه الى معسكر زال دون ان يدري بقدومه سوى نفر قليل ، فاجتمع

باقطاب جيشه مدة سبعة ايام للبحث وتبادل الرأي ، وفي اليوم الثاني تلقوا بفرح رسالة النجوم التي قرأوا فيها طالع الشاه . واعد زال عرشا من العاج واقام وليمة وضع خلالها تاج فارس على رأس الشاه الشاب ثم اتى النبلاء وقدموا له ولاءهم واحتفلوا بالمناسبة حتى وقت متأخر من الليل ، ثم رجوه بان يعد نفسه ليقودهم فحشد « كاي كوباد » الجيش وسار للقتال.

وسرعان ما اشتد وطيس المعركة وحمي اوارها ودامت اياما عدة، قام الجانبان خلالها باعمال بطولية. ولكن الجنود الطورانيين (الاتراك) لم يستطيعوا الصمود امام جنود فارس ، ولم يكن من المستطاع التغلب على قوة رستم الذي ابدى مثل بسالة الاسد ، وامتد ظله اميالا عديدة ، فاطلق عليه الناس منذ ذلك الحين اسم (ذو اليد القوية) ، وذلك لما رأوا منه من اعمال جريئة ، واندحر افراسياب وهرب من وجه رستم ، ولحق به جيشه مكسورا خائبا .

اما الفرس ، وقد رأوا اعداءهم يهربون من وجههم ، فقد مضوا الى « كاي كوباد » وقدموا له فروض الطاعة امام عرشه، فاقام هذا احتفالا فخما شأن الملوك ، واجلس « رستم » عن يمينه و « زال » عن يساره ، وقضوا جميعا وقتا هنيئا حافلا بالمسرات .

المدينة الخالية

إعداد لويس كريث

يعجب الصينيون كثيرا بالذكاء الحاد والبراعة ، وقد كان « تشوكو ليانج » بطل المدينة الخالية ، اعظم مخطط حربي عرفته الصين ، فهو الشخص الوحيد الذي لم يتمكن احد من خداعه لشدة ذكائه . وبطولته تختلف عن بطولة غيره من الابطال لانها لا تقوم على السلاح والقوة الجسدية بل تعتمد على الذكاء والشجاعة .

وقصة تشوكو ليانج هذه هي واحدة من مجموعة قصص شعبية رائجة رواجا كبيرا وفيها وصف للحياة الصينية القديمة ، وقد حدثت الوقائع التي استمدت منها هذه الاساطير في الفترة الواقعة ما بين ١٦٨ — ٢٦٥ قبل الميلاد .

المدينة الخاليــة

ستضحك يا عزيزي القارىء حين تسمع هذه القصة ، وقد لا تصدقها تماما ، ولكنني اؤكد لك انها صحيحة ، صحيحة تماما •
انها قصة القائد العظيم الذي توجه مرة ليستولي على مدينة معينة ، والحقيقة انه كان مستطيعا ، بنصف الجيش الذي يسير وراءه ، ان يخضعها • ولكنه ما كاد ان يصل الى ابوابها حتى ــ حسنا ماذا تظن انه فعل ؟ قد لا تصدق ما فعله تماما ، ولكنني اؤكد لك يا عزيزي ان القائد العظيم الذي توجه الى الحرب مع جيش كبير لم يكد يصل ابواب المدينة حتى استدار عائدا على حصانه دون ان يوجه ضربة واحدة •

لقد حدث هذا الشيء الغريب حين كانت امبراطورية «هان» مقسمة الى ثلاثة اقسام ، وكانت هذه الاقسام تسمي نفسها مملكة « واي » Wei ومملكة « وو » Wu ومملكة « شو » Shu وكانت تتدرج في القوة هكذا ، « واي » اقواها ، ثم « وو » ، ثم « شو » • لقد كانت مملكة « شو » ضعيفة وكانت كــل مملكتين تتفقان بين حين واخر على محاربة الثالثة كما ان كل

واحدة كانت تحارب الاخرى في سبيل الحصول على المركز الاول ، وفي الوقت الذي وقعت فيه حوادث قصتنا هذه كانت جيوش « واي » تسير لمحاربة مملكة « شو » وقد توقعت ان تأخذها على غفلة منها ، وان تهزمها بسهولة • وهنا لا بد ان نذكر شيئا عن مملكة « شو » ، صحيح انها لم تكن قوية في حد ذاتها ، ولكن المملكتين الاخريين بدأتا تحسبان لها الحساب حين التحق بخدمة ملكها القائد العظيم « تشوكوليانج » • فلقد اكسبها وجود القائد فيها بعض القوة ، ولقد اكتشفت جيوش مملكة « واي » ذلك حالما اقتربت من المدينة واقبلت عليها من ناحيتها الشمالية •

لقد كان « تشوكو ليانج » قائدا اعلى لجيش « شو » ، كما كان رئيسا لوزارتها في الوقت نفسه ، وكان يتحلى بصفات من الحكمة والمعرفة بحيث لم يكن هنالك رجل يماثله فيها في الممالك الثلاث جميعا ما عدا قائدا واحدا اخر في مملكة « واي » يدعى « سوما » • وقد كان « سوما » هذا هو نفس القائد الذي قاد جيوش « واي » التي كانت تتحرك باتجاه ممر «شي تينج» الواقع بين المملكتين •

لقد عرف «تشوكو ليانج» بان جيوش الاعداء كانت تقترب من المر ، ولم يعرف ذلك احد سواه حتى افراد الخيالة الذين

كانوا يحرسون المملكة ليل نهار • لقد قيل عن «تشوكو ليانج» انه كان عجيبا يستطيع ان يتنبأ بالاحداث قبل وقوعها لان اله النجوم قد زوده بحواس ست بدلا من الخمس التي كانت لسائر الناس • وقد قال آخرون انه يمارس السحر ، وهناك من قال ان لديه معدات غريبة يستطيع ان يقيس بها الارض والسموات • وانه كان يحمل هذه المعدات معه انى ذهب • ولا بد ان تكون رواية ما من هذه الروايات صحيحة والا فكيف استطاع ان يعرف ما يجري في المملكة الاخرى التي تفصلها عن بلاده جبال شاهقة ؟

ولم يتوقف « تشوكو ليانج » ليحكي كيف عرف بامر الجيوش التي كانت تتحرك صوب المر ، اذ لم يكن هناك وقت للكلام وكان ما فعله هو انه ارسل « ماسو » ليدافع عن المملكة•

لقد كان « ماسو » قائدا ممتازا ذا شجاعة وجرأة ، ولكن عيبه الوحيد هو غروره اذ كان يعتقد انه كان امهر قواد مملكة « شو » وهكذا لم يكن يصغي تماما حين كان القائد العام يلقي اليه بتعليماته قائلا :

« انصب خيامك هنا ، وكن مستعدا لتوزيع قواتك •• حاملو الاقواس هنا ، الخيالة هنا ، وراكبو العربات هناك ••

ارسم خارطة وابعث الي بنسخة منها لاعرف تماما كيف توزعت الفرق المختلفة • والان امض الى مهمتك » •

وانهى القـــائد العام كلامه فانصرف القائدان من حضرته ، «ماسو» القائد الممتاز، و «وانج بنج» مساعده الاقل مهارة منه، ولكن ما ان مضى « ماسو » الذي امره القائد العام ان يوزع جيشه على نظام معين حتى رفض هذا ان يطيع امر قائده فلم يفعل شيئا مما امره بـــه •

وما ان بلغ « ماسو » الممر حتى كان قد كون رأيه الخاص اذ ليس هناك في كنوز الممـــالك الثلاث مـــا هو اثمن في نظر « ماسو » من رأيه الخاص • وهكذا لم يقبل بنصائح مساعده « وانج بنج » واحتجاجه ، بل امر قواته بان تعسكر على رأس تلة قرب ممر « تشي تنج » •

اما الخارطة فهو لم يرسمها ابدا ، اذ ادرك ان القائد الاعلى « تشوكو ليانج » سيضيق بخارطة تبين كيف عسكر الجند على قمة التل ، الا ان مساعده « وانج بنج » رسم واحدة على عجل خفية عن رئيسه « ماسو » ، وامر احد الرسل ان يحملها بسرعة شيطانية الى القائد الاعلى « تشوكو ليانج » •

وفي تلك الاثناء ، وبينما كان الرسول يطوي الارض حاملا

الخارطة ، كان « سوما اي » قد احتل الممر ثم حاصر الجبال وقطع الماء عن قوات ماسو ثم بعد احتلال « تشي تنج » اتجهت قوات « واي » باتجاه سي شينج المدينة الغربية وهي تتوقع نصرا اكبر واعظم •

ومن الطبيعي ان « تشوكو ليانج » قد علم بما حصل حتى قبل ان يبلغه الرسول الذي بعث « وانج بنج » معه بالخارطة • الا انه لم يقل شيئا بخصوص « خطته فيما يتعلق بالدفاع عن المدينة » بل اخذ يجمع ما تبقى من القوات بسرعة ، ووزعها على المراكز الحساسة بسرعة ايضا ، بعضها ليحرس البلاد من مزيد من الهجمات ، وبعضها ليذرع الطريق امام جيوش مملكة « شو » في حالة اضطراره الى التراجع • ثم تقدم بما تبقى من رجال وجند قليل نحو « سي شنج » ، المدينة الغربية •

ولم يكد «تشوكو ليانج» يدخل المدينة حتى دخلها خيال من فريق الاستخبارات حاملا الانباء السيئة من ان جيوش « سوما آي » البالغة مائة وخمسين الف جندي كانت تقترب من المدينة بسرعة ، فاخذ الناس يلتمون حوله تاركين بيوتهم ، وما لبث ان تعالى صياحهم ونحيبهم وهم يقولون :

« وآسفا لمدينتنا الجميلة وآسفا » ، امـا الموظفون فقد

صاحوا : « لم يبق شيء لنا •• فاما الموت ، واما الفرار » •

واخذ الجنود ينظرون الى بعضهم البعض ثم الى « تشوكو ليانـج » ، اما الناس فقد ارتعدوا خوفا •

ولم يقل « تشوكو ليانـج » شيئا ، بل انسحب بهدوء واتجه صوب برج المراقبة القائم على سور المدينـــة وصعد سلمه • وهناك وقف بعض الوقت متــأملا سحــابة الغبـــار التـــي اثارها مسير جيش الاعداء ، وكانت ضجة المسير تعلو وتعلو كلما اقترب الجيش •

وهبط « تشوكو ليانج » الدرج ثانيـــة وبوسعك الان ان تتصور كيف كـــانت حـــال الموظفين الصفر الوجوه ، والجنود المذعورين ، والناس الذين اخذهم الرعب ، حين بدأ هذا بالقاء اوامره للدفـــاع عن مدينـــة « سي تشنج » ، فقد كـــان هـــذا كلامـــــه بالضبط •

« انزلوا كل الاعلام والرايـــات عن المنــــازل والحوانيت والمعابد واخفوها جيدا ، ثم ليختبىء الناس جميعا فاذا ما لاح عدو فلا تتحركوا ولا تأتوا بأقل حركة ولا تظهروا انفسكم ولا تغامروا بالظهور خارج اسوار المدينة والا كان الموت عقـــاب المخـــــالف » •

هذا ما يفعله الاهـــالي •

اما الجند الذين اختارهم للدفاع عن المدينـــة ، وعددهم لا يزيد عن العشرين ، فان عليهم ان يبدلوا ثيابهم العسكرية حالا، وان يلبسوا ثيابا مدنية ، وان يفتحوا بوابات المدينة الاربـــع (لقد ارتعدوا خوفـــا وهم يسمعون منه مثل هـــذا الكـــلام) يفتحوها على سعتها حتى يستطيع اي انسان ان يرى منظرا كاملا للمدينة سواء من شمالها لجنوبها او من شرقها لغربها •

والواقع ان رجال الاستكشاف التابعين لملكة واي قد رأوا هذا المنظر من المدينة ووصفوه في تقاريرهم الى قائدهم فلـــم يصدق « سوما آي » ما جاء في هذه التقـــارير اولا ، واوفد ضابطا مع بضعة جنود ليتحروا الحقيقة •

وكان ما رأوه موافقا لما جاء في التقارير فلم يلح لهم جندي واحد من جيوش مدينة «سي تشنج» فطافوا حول الاسوار ولم يجدوا هناك جنودا ايضا • كل ما رأوه كان نفرا من العمـــــال (لا يزيد عددهم عن العشرين ولعل جنود «واي» لم يهتموا حتى بعدهم) وكانوا منهمكين بكنس وجمع الاقذار حول الاسوار ، ولم يهتموا بمجرد القاء النظر على الجنود المستكشفين •

ولكن ما كان بحق عجيبة من عجائب البحور السبعة هـــو

هذا الشيء الذي يقف في رأس برج المراقبة ! رجل عجوز يرتدي ثوبا محلى بريش طيور الكراكي ، فهل هو يا ترى عالم ناسك اذ انه كان يلبس على رأسه تلك القلنسوة الحريرية الناعمة التي يلبسها النساك ؟

ثم هل يقف صبي صغير على كل جانب من جانبيه ؟ انهما صبيا القيثارة وها هما يعدان القيثارة الخشبية ذات الاوتار السبعة ويضعانها امام الناسك . والان هل يلام جنود مملكة « واي » ، هل يلام احد في العالم اذا ما توقف ليصغي الى هذه الموسيقى الحلوة المنبعثة من القيثارة ؟ انها اشبه بلمسات جوانح طيور الجنة على شجر الصفصاف .. موسيقى رائعة حالمة ناعمة . ولم يكن هناك صوت ينبعث من المدينة ليفسد تأثير الموسيقى فكل شيء ساكن صامت .. ثم يا له من موسيقي ساحر هذا العازف . ما اندر ان تجد عازفا بمثل مهارته !

وبتلكؤ ركب الجنود الكشافة التابعون لمملكة « واي » خيولهم عائدين حاملين الاخبار الى قائدهم الذي ضحك منهم وذهب بنفسه ليتبين الحقيقة . ومضى معه ابنه « سوما شاو » الذي كان ممتلئا حماسة لخوض المعركة ، وطموحا ليغدو كوالده قائدا عظيما او يصبح ، من يدري ، اكثر عظمة حتى من والده .

ولم لا ؟ الم يعش « سوما شاو » نفسه ليرى ابنه يجلس على عرش التنين كامبراطور اول لاسرة « تسن » ؟

ولكن هذا كله لم يكن شيئا يذكر بالنسبة لما اصاب الاب وابنه من دهشة حين بلغا « سي تشنج »• لقد رأيا نفس ما رآه الجنود الذين جاؤوا قبلهما واكثر • لقد اكد « سوما آي » في الحال ان الناسك لا بد وان يكون « تشوكو ليانج » في ثياب العلماء والنساك جالسا في دعة وهدوء لا حدود لهما على اسوار المدينة المهددة ، وقد ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجهه في حين راحت اصابعه تمر برشاقة على الاوتار •

وكان هناك صبي ملتفع بالحرير وقد استندت يده بلامبالاة الى مقبض سيف مطعم بالجواهر ، وعلى الجانب الاخر ولد كان يحمل سوطا مصنوعا من ذيل حيوان الياق الابيض ، يحركه بلطف في الهواء • وامام الناسك كان ثمة مجمرة تنبعث منها روائح بخور وعطور تنتشر في الهواء •

والتفت « سوما آي » الى الناحية الاخرى فرأى مجموعة من العمال يحملون مكانسهم دون كبير نشاط اذ كانوا قد فرغوا من تنظيف القسم الاكبر من الارض ، ولم يكن يظهر عليهم اي اهتمام بشيء اخر ، ربما لانه لم يكن ثمة اشارة واحدة على

وجود حياة في هذه المدينة .

ولم يتوقف « سوما آي » ليستمع الى الموسيقى ، بل لعله لم يسمعها ، وان كان يصعب علينا ان نصدق ذلك نظرا للبراعة الفائقة التيكان يتميز بها عزف «تشوكو ليانج» . وسواء استمع « سوما آي » الى الموسيقى ام لم يستمع فان كل ما فعله هو انه استدار وركب حصانه عائدا الى جيشه . والان حاول ان تعرف ما هو شعور ابنه « سوما » الصغير الذي كان ممتلئا حماسة للمعركة وهو يسمع والده يأمر الجيش قائلا :
« تراجعوا » .

لقد ذهل « سوما تشاو » الصغير في الحقيقة واخذته الحيرة والمذلة ، حين تبين ان مجيئه قد ضاع عبثا وانه لم يفعل شيئا مما كان يحلم بان يفعله . لقد انفجر محتجا وسأل :
« ولكن لماذا يا ابي ؟ لماذا نتراجع ؟ »
ولكنه ارتكب بكلامه مخالفتين ، فهو كجندي بسيط لا يجوز له ان يناقش رئيسه او قائده كما لا يجوز للولد ان يناقش والده ، واذا كان له من عذر في واحدة فأي عذر له في الاخرى ، طالما ان الجميع يعلمون ان طاعة الاب امر واجب ؟

لعل « سوما تشاو » ما سمح لصوته بالارتفاع الا لان

كلمة « تراجعوا » قد اغضبته وآلمته ، ولكنــه على كل حــال حــاول ان يكبت غيظه كما يقول الرواة والمؤرخون ، وكان كل ما فعله الوالد هو انه رد عليه ببساطة قائلا : « اسكت والتزم الهدوء ، ماذا بوسعك أن تعرف وانت بعد ولد عن مثل هــذه الوضعيـــــة ؟ » •

وهنا تحدث « سوما آي » بخبرته وحكمته العظيمة فذكر ولده والضباط الاخرين الذين اذهلهم امر التراجع بالاخطار التي يمكن ان تنشأ فيما لو هم استهانوا بعبقرية « تشوكو ليانج » ودهائه ، وقال « انه اكثر الخصوم حنكة وفنا ، ولم يعرف عنه انه يجازف عبثا او يرتكب مخاطرة غير مضمونة • لماذا كانت بوابات المدينة مفتوحة ؟ اليس لتغرينا بالدخول فندخل ثـــم تطبق علينــــا الجيوش المختبئة او نقع في شرك او حيلــــة مرتبــــــة لنـــــا ؟ » •

وهكذا تراجعت جيوش « واي » وتوقف «تشوكو ليانج» عن العزف وانصرف عنه الصبيان الصغار ، وصفق بيديه واخذ يضحك ويضحك وتجمع حوله الضباط والجنود المتنكرين بازياء العمال • وقليلا قليلا بدأ اهالي المدينة بالتجمع تاركين مخابئهم وقد بدوا جميعا مذهولين غير مصدقين عيونهم ولم يفهم واحد منهم ماذا وقع ، الا انهم ركعوا جميعا عند قدمي تشوكو ليانج•

واخيرا رفع احد الضباط صوته فقال باتضاع :

« يا صاحب السعادة ، افدنا فنحن لا نفهم شيئا مما جرى حولنا • هل تريد القول بان « سوما آي » المحارب العتيد ذو الجيش الكبير القوي قد هرب من مدينـــة خالية ••؟ ما معنى ذلـــــك ؟ »

ورد عليهم « تشوكو ليانج » مبتسما وهو يشير اليهم بان ينهضوا من ركوعهم :

« ان ذلك يعني ان « سوما آي » المحارب القديم قد اخطأ الحساب قليلا ، انه لم يتصور انني قد الجأ لمثل هذه الخدعــة الخطرة ، فقرر ان المدينة الخالية ما هي الا شرك منصوب له • وهكذا فضل التراجع والانسحاب • اما الا فقد تبين •• (وراح تشوكو يحسب في ذهنه بسرعة ••) تبين ان المدينـــة خـــالية بالفعل من الجنود ، ولا شك انكم سمعتم جلبة جيش « واي » وهو يتجه صوب ممر « بي شان » ، ولا بد ان قواتـــــه الان مشتبكة مع جنودنا الذين شنوا عليهم هجوما مفاجئا اذ كانوا يتربصون لهم منتظرين نجاح خدعتنا هنا •

وهمهم الضباط استحسانا ، اما الناس فاخذتهم الحماسة وبدأوا يصيحون « مرحى ، مرحى ، ان حكمة القائد لهي فوق

ادراكنا • ولو انه لم يكن موجودا بيننـــا لهربنا من المدينـــة وخسرنا كل شيء » •

ورد عليهم « تشوكو ليانج » : « لو انكم هربتم لاقتنصكم جيش العدو كما يقتنص الصقر فريسته • كلا ان حيلتنا كانت الفرصة الوحيدة للخلاص » •

وعم مدينة «سي تشنج» فرح عظيم فالقائد «تشوكو ليانج» لم ينقذ مدينتهم فحسب وانما زودهم بقصـــة رائعـــة مثيرة يتحدثون بها الى ابنائهم واحفادهم ، ويتناقلها الجيل عن الجيل فيصغي اليهـا مشوقين ثم يضحكون من القـائد الكبير الذي هزمته مدينة خالية • لقد كانت عبرة للاجيال واجمل ما فيها انها كـانت صحيحـــة •

وبقدر ما كانت القصة صحيحة ، كان صحيحا بمرور الوقت انه بعبقرية «تشوكو ليانج» الذي صار يلقب «بالتنين النائم» اصبحت مملكـة « شو » قوية بعد ضعفهـا ، قويـة كمملكتي « واي » و « وو » • ثم زالت الممالك الثلاث بالتدريج لتصبح امبراطورية واحدة يحكمها حفيد « سوما آي » •

ف• ب (١٠١)
١٩٦٣

